

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على أفضل العرب لهجة، وأصدقهم حجة، وعلى آله الأجداد، وصحبه الذين فتحوا البلاد، ونشروا لغة التنزيل في الأغوار والأنجاد، وحببوا إلى الأعجمين حتى استقامت ألسنتهم على النطق بالضاد، أما بعد:

فإن شأن القلم لجلل، وإن أمر الكتابة لعظيم؛ كيف لا، والله - عز وجل - قد علم بالقلم، وأقسم بالقلم.

قال - جل ثناؤه - : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ العلق.

وقال: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) ﴾ القلم.

**كفى قلم الكتاب مجداً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم باقلم**

ولا ريب أن الحديث عن الكتابة متشعب طويل، والمقام ههنا لا يسمح بالتفصيل، وإنما هي إشارات عابرة هي أشبه بالمعالم العامة للكتابة الرصينة النافعة، وليست بالضرورة حديثاً عن البحث، وطرائقه.

وقد أفدتها من خلال التجربة اليسيرة، ومن خلال ما مرَّ بي من كلام العلماء وأكابر الكتاب الذين حاموا حول هذا المعنى<sup>(١)</sup>؛ فأحببت تقييد شيء من ذلك

١ - انظر على سبيل المثال إلى مقدمة أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٥-٢٠، وكتاب الصناعتين لأبي هلال

العسكري، وأدب الكتاب للصولي، والمثل السائر لابن الأثير ٣/١-٣١، ومقدمة المنفلوطي لمختراته،

ونشره؛ رغبة في عموم النفع.  
 وإن من أعظم البواعث إلى ذلك كثرة الأسئلة عن كيفية الكتابة، وأدواتها،  
 وسبل الترقى فيها.  
 ومن البواعث - أيضاً - ما يراه المتأمل من نفسه ومن غيره من كثرة الأساليب  
 المتخاذلة، والكتابات الركيكة أو المتكلفة.  
 وقبل الدخول في ثنايا الموضوع يحسن التنبيه على أن صناعة الكتابة ليست  
 كغيرها من الفنون لها قواعدها المضبوطة، ومسائلها المدونة يتدارسها الكتاب،  
 فتنتهي بهم إلى إمداد اليراعة بالبراعة.  
 وإنما هي تنبيهات ترشد إلى الجهات التي تنمو بها قوى التفنن في تصاريف  
 الألفاظ، والتأنق في تحسين هيئاتها التأليفية.  
 أما أسلوب المرء فهو الذي يخترعه صاحبه؛ فيكون عليه طابعه؛ فهو ابن  
 مزاجه وتربيته، وبيئته، وذوقه، وفنه.  
 فالمعاني مطروحة، والألفاظ مطروقة، وإنما العبرة بالتركيب، والتركيبُ ابنةُ  
 مَنْ يصوغها؛ فيزيدها جمالاً علمُ الكاتب، ووفرة اطلاعه، وأدب نفسه،  
 واستكمال أدوات الكتابة.  
 ولا تجود الكتابة إلا بما تحمل من الألفاظ، وبما تنطوي عليه من المعاني،  
 وبالتلطف في أدائها، واطراح التكلف في إحكام نسجها.

---

والسعادة العظمى محمد الخضر حسين ص ٧٣-٧٥، و ١١٣-١١٦، و ١٥٤-١٥٦، والمذكرات لمحمد كرد  
 علي ص ١١٩٢-١١٩٣، إلى غير ذلك مما سيرد ذكره في ثنايا الصفحات التالية.

وملاك ذلك كله \_ كما يقول ابن الأثير \_ الطبع؛ فإنه إذا لم يكن ثمَّ طبع فإنه لا تغني الآلات شيئاً.

ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد، والحديدة التي يُقَدَح بها؛ ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نارٌ لا تفيد تلك الحديدة شيئاً؟! وعلى هذا فإذا ركبَ الله \_ تعالى \_ في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن \_ فإنه يحتاج إلى الأخذ بعدد من الأسباب التي ترتقي بكتابه، وتجعلها مؤدية لغرضه. فهذه \_ في الجملة \_ أصول الكتابة، وعوامل كونها نافعة خالدة \_ بإذن الله \_ . وفيما يلي من صفحات شيء من البسط والتفصيل في ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

محمد بن إبراهيم الحمد

١٤٢٧/٥/١ هـ

الزلفي ص.ب: ٤٦٠

[www.toislam.net](http://www.toislam.net)

[alhamad@toislam.net](mailto:alhamad@toislam.net)



### ما جاء في وصف القلم وتعظيم شأن الكتابة

- مرّ في المقدمة شيء من ذلك ، وفيما يلي ذكر لبعض ما جاء في وصف القلم ، وتعظيم شأن الكتابة نثراً وشعراً ، ومما جاء في ذلك ما يلي :
- ١\_ قال أحمد بن يوسف : « القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع ، إذا نسج حلله ، وأودعها حكمه » .
  - ٢\_ وقال ابن المقفع : « القلم بريد القلب » .
  - ٣\_ وقال أبو دلف : « القلم صائغ الكلام ، ويفرغ ما يجمعه العلم » .
  - ٤\_ وقال الجاحظ : « الدواة منهل ، والقلم ماتح ، والكتّاب عطن » .
  - ٥\_ وقال سهل بن هارون : « القلم أنف الضمير إذا رعى أعلن أسراره ، وأبان آثاره » .
  - ٦\_ وقال عمرو بن مسعدة : « الأقلام مطايا الفطن » .
  - ٧\_ وقال المأمون : « لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة » .
  - ٨\_ وقال جالينوس : « القلم طبيب المنطق » ، فوصفه من جهة صناعته .
  - ٩\_ وقال أحمد بن عبدالله : « القلم راقد في الأفئدة ، مستيقظ في الأفواه » .
  - ١٠\_ وقيل : « عقول الرجال تحت أقلامها » .
  - ١١\_ وقال العتابي : « الأقلام مطايا الأذهان » .
  - ١٢\_ وقال عبد الحميد الكاتب : « القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة » .
  - ١٣\_ وقيل : « بريّ القلم تروى القلوب الظمئة » .

١٤\_ وقال آخر: «مساق أمر الدنيا بسين وقاف، فيقال: سق»، يريد السيف والقلم.<sup>(١)</sup>

١٥\_ وقيل: إن أفضل ما قيل في وصف القلم من الشعر قول أبي تمام في مدحه لمحمد بن عبد الملك الزيات:

لك القلم الأعلى الذي بشبّاته	تصاب من الأمر الكلى والمفاصل <sup>(٢)</sup>
له الخلوات اللاء لولا نجيتها	لما احتفلت للملك تلك المحافل <sup>(٣)</sup>
لُعابُ الأفاعي القاتلات لعابه	وأرْيُ الجنى اشتارته أيدي عواسل <sup>(٤)</sup>
له ريقَةٌ طلٌّ ولكنَّ وَقَعَهَا	بآثاره في الشرق والغرب وابل <sup>(٥)</sup>

١\_ انظر أدب الكتاب للصولي تحقيق العلامة محمد بهجة الأثري ص ٦٧ و ٦٨ و ٧٥.

٢\_ الشبابة: حد القلم، وقوله: «تصاب من الأمر»، روى أيضاً: «ينال من الأمر»، والكلى: جمع كلية وكلوة جاء بالياء والواو، والمفاصل: جمع مفصل وهو ملتقى كل عظيمين، أراد أن القلم يطبق المفصل، ويصادف المحز، وبه ينال مقاصد الأمور؛ فإنه ينال بالأقلام ما يعجز عنه مجالدة اللسان.

٣\_ يعني أن أصحاب القلم هم أهل المشورة، وموضع السريُّخلي لهم الملوك المجالس للمشورة، وبهم يحصل نظام الملك، والنجى: المسارر، والتناجي: المسارة، وأراد به المشير؛ فإن المشورة تكون سراً غالباً، والاحتفال حسن القيام بالأمور، والمحافل جمع محفل كمجلس ومقعد وهو المجتمع.

٤\_ اللعاب: ما يسيل من الفم، والقاتلات صفة كاشفة للأفاعي ذكرها تهويلاً، والأرْيُ: ما لزق من العسل في جوف الخلية، والجنَى: العسل، واشتارته: استخرجته، وأيدي: جمع يد، وعواسلُ: جمع عاسلة أي مستخرجة العسل، والعاسل مُسْتَخْرِجُ العسل من موضعه، والمصرع الأول بالنسبة إلى الأعداء، والثاني بالنسبة إلى الأولياء؛ يعني أن لعاب قلمه بالنسبة على الأعداء سم قاتل، وبالنسبة إلى الأولياء شفاء عاجل.

٥\_ الطل: المطر الضعيف، والوابل: المطر الشديد الفخم القطر.

يقول: إن ما يجري من القلم حقير تافه في ظاهر الأمر، لكن له أثرٌ خيرٍ عم المشرق والمغرب.

وأعجم إن خاطبته وهو راجل	فصيح إذا استنطقته وهو راكب
عليه شعاب الفكر وهي حوافل <sup>(١)</sup>	إذا ما امتطى الخمس اللطاف
لنجواه تقويض الخيام الجحافل <sup>(٢)</sup>	أطاعته أطراف الرماح وقوضت
أعاليه في القرطاس وهي سوافل <sup>(٣)</sup>	إذا استغزر الذهنَ الذكيَّ وأقبلت
ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل	وقد رفدته الخنصران وسددت
ضنىً وسميناً خطبه وهو ناحل <sup>(٤)(٥)</sup>	رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف

١٦- وقال الفضفاضي :

بقافه والالام والميم  
في فعله مثل الأقاليم

في كفه أخرسُ ذو منطقٍ  
شبرٌ إذا قيس ولكنّه

١- أراد بالخمسة اللطاف الأصابع الخمسة ، والشعاب : جمع شِعْب وهو الطريق في الجبل ،  
والحوافل جمع حافلة ، يقال : حفل اللبن وغيره حفلاً وحفولاً : اجتمع ، واحتفل الوادي : امتلأ وسال .  
٢- قوله أطاعته أطراف الرماح الخ : هو جواب إذا ، وروي أطاعته أطراف القنا وتقوضت ، يقال :  
تقوضت الصفوف إذا انتقضت ، وأصله من تقويض البناء وهو نقضه من غير هدم ، والنجوى : السر ،  
وتقويض أي كتقويض الخيام الجحافل : فاعل قوضت ، وهو جمع جحفل وهو الجيش .  
٣- قوله استغزر الذهن : أي وجدده غزيراً ، وفاعله ضمير القلم ، والذكي المتوقد ، وروي الخلي  
بدلُه ، والخلي : الخالي ، وإنما تكون أعالي القلم سوافل حين الكتابة .  
٤- رأيت : جواب إذا وشأنه فاعل جليلاً ، وجملة وهو مرهف : حال ، وهو اسم مفعول من  
أرهفت السيف ونحوه إذا رقت شفرته ، وضنى : تميز ، وهو مصدر ضنى من باب تعب إذا مرض  
مرضاً ملازماً ، وسميناً : معطوف على جليلاً ، وناحل من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحولاً سقم ، ومن  
باب تعب .

٥- ديوان أبي تمام ٥٧/٢-٥٨ ، وانظر أدب الكتاب ص ٧٥-٧٧ .

- مُحَرَّفُ الرَّأْسِ وَمُسَوَّدُهُ      كَابِرَةُ الرَّوْسِ مِنَ الرَّيْمِ<sup>(١)</sup>
- ١٧- وقال غيره في وصف كُتَّابٍ :  
وَأَقْلَامُهُمْ زَنْبِيرٌ مَهْيَبٌ      يُزْدَرَى عِنْدَهُ زَنْبِيرُ الْأَسْوَدِ<sup>(٢)</sup>
- أَرْغَبَتْهُمْ عَنِ الْقَنَا قَصَبَاتٌ      مَغْنِيَاتٌ عَنِ كُلِّ جَيْشٍ مَقْوَدٌ
- وَالْقِرَاطِيْسُ خَافِقَاتٌ بِأَيْدٍ      يَهُمُّ كَمَرْهُوبٍ خَافِقَاتِ الْبِنُودِ<sup>(٣)(٤)</sup>

---

١ - أدب الكتاب ص ٧٨.

٢ - الزئير: صوت الأسد من صدره كالتزؤر على تفاعل.

٣ - البنود: جمع بند وهو العلم الكبير.

٤ - أدب الكتاب ص ٧٩.



## أسباب الارتقاء في الكتابة



## أسباب الارتقاء في الكتابة

هناك أسباب عديدة تنهض بصناعة الكتابة، وتجعلها محمودة مستطابة؛ وترفع الكاتب مكاناً عالياً، وتبلغ به في البراعة أمداً قصياً؛ فإلى تلك الأسباب التي ربما يدخل بعضها ضمن بعض.

## ١- حفظ القرآن الكريم، والإكثار من تلاوته وتدبره

فعلاوة على كون ذلك عبادة - فهو كذلك يقوي ملكة البيان؛ لما جاء به من صور النظم البديع، والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول؛ فإنه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الأساليب المعتادة للفصحاء قاطبة؛ وإن لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة؛ فهو الذروة في البلاغة، وفيه اللفظ الجزل، والأسلوب الذي لا يدانيه أسلوب، وفيه الجمال، والجلال، والبهجة، والرغبة، والعصمة من الخطأ.

ولقد اتفق كبراء الفصحاء على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به، وإن تفاضل الناس في الإحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق، وجودة القرينة.

قال ابن الأثير رحمته الله في معرض حديثه عما يحتاجه الكاتب: « حفظ

القرآن الكريم، والتدرب باستعماله، وإدراجه في مطاوي الكلام»<sup>(١)</sup>.

١ - المثل السائر لابن الأثير ١-١٠.

ثم قال ﷺ معللاً ذلك: « فإن صاحب هذه الصناعة \_ يعني الكتابة \_ ينبغي له أن يكون عارفاً بذلك؛ لأن فيه فوائد كثيرة، منها أنه يُضَمَّن كلامه بالآيات في أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها.

ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والروثوق. ومنها أنه إذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتخذها بحراً يستخرج منه الدرر والجواهر، ويودعها مطاوي كلامه، كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات، وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام؛ فعليك أيها المتوشح لهذه الصناعة بحفظه، والفحص عن سره وغامض رموزه وإشاراتهِ؛ فإنه تجارة لن تبور، ومنبع لا يغير، وكنز يُرجع إليه، وذخر يُعوّل عليه»<sup>(١)</sup>.

## ٢\_ الإكثار من مطالعة كتب السنة

كالكتب الستة وغيرها من الصحاح والمسانيد؛ فهي تمد الكاتب بالأساليب البيانية الراقية، وترفد مادته اللغوية والشرعية، فالنبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، ودانت له نواصي البلاغة، ودنت له قطوف الحكمة، وتفجرت من أقواله ينابيع الفصاحة؛ فهو يتكلم بالسهل الممتنع، وبالألفاظ المعبرة المأنوسة المشتملة على الرقة، والمتانة، والإبانة عن الغرض بدون تكلف. والأمر في ذلك يجري مجرى القرآن الكريم \_ كما تقدم \_.

**٣\_ مطالعة دواوين العرب في الشعر، وحفظ ما تيسر منها**

كأشعار الجاهليين وخصوصاً أصحاب المعلقات، وكأشعار المخضرمين كحسان وغيره، وأشعار الذين نشأوا في عصر صدر الإسلام كعمر بن أبي ربيعة، والأخطل، والفرزدق، وجريز، والراعي النميري، وذو الرمة. وأشعار العباسيين كبشار وأبي تمام، والبحري، والمتنبي، وأشعار الأندلسيين كابن زيدون وغيره.

ومما يفيد في هذا قراءة كتابي المفضليات للمفضل الضبي، والأصمعيات للأصمعي عبد الملك بن قريب، فهما مليئان بالقصائد الرائعة الرائقة. وكذلك جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، والشعر والشعراء لابن قتيبة.

وكذلك دواوين المعاصرين كالبارودي، وشوقي، وحافظ، وغيرهم.

**٤\_ العلم بالنحو والصرف**

فالنحو: هو ما يبحث في الجملة العربية، وفي تركيبها.

والصرف: هو ما يبحث في بنية الكلمة العربية.

فالعلم بالنحو والصرف يضمن فصاحة الكتابة، وينأى بالكاتب عن إيراد لفظة خاطئة في بُنيته، ويجنبه اللحن والخطأ في التراكيب. ومما يكون الكلام به فصيحاً سلامة مفرداته وتراكيبه من الخطأ، وخطأ الكاتب ولحنه أقبح من خطأ الخطيب ولحنه.

ثم إن الإعراب معلّم من معالم اللغة، ومفخرة من مفاخرها.

وإليك هذه النبذة عن معنى الإعراب وبيان أهميته:  
 أولاً: معنى الإعراب:

أ- الإعراب في اللغة: أصل هذه المادة: (عرب) قال ابن فارس رحمته الله: «العين والراء والباء أصول ثلاثة: أحدها: الإبانة<sup>(١)</sup> والإفصاح، والآخر: النشاط وطيب النفس، والثالث: فساد في جسم أو عضو.

فالأول أعرب الرجل عن نفسه: إذا بين وأوضح»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «إعراب الكلام - أيضاً - من هذا القياس؛ لأن بالإعراب يفرق بين المعاني في الفاعل، والمفعول، والنفي، والتعجب، والاستفهام، وسائر أبواب هذا النحو من العلم»<sup>(٣)</sup>.

ب- الإعراب في الاصطلاح: «أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة»<sup>(٤)</sup>.

والمراد بالأثر ما يحدثه العامل من الحركات الثلاث أو السكون، وما ينوب عنها.

وبالظاهر: ما يلفظ به نحو جاء زيد، وأكرمت زيداً، ومررت بزيد، وبالمقدر: ما يُنوي من ذلك كالضمة، والفتحة، والكسرة من نحو: الفتى،

١- في المقاييس تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون: (الإبانة) وهذا خطأ واضح.

٢- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٩٩-٣٠٠.

٣- معجم مقاييس اللغة ٤/٢٩٩-٣٠٠.

٤- هذا تعريف ابن هشام رحمته الله انظر ضياء السالك إلى أوضح المسالك ١/٤٩.

والنون في مثل : (لتبلون)<sup>(١)</sup>.

ويراد بالكلمة : الاسم والفعل المعربان.

والمراد بآخر الكلمة : أحوال أو آخرها ، وما يعتريها من تعُّير.

**ج- معنى البناء :** هو لزوم آخر الكلمة حالة واحدة مثل : هل ، وقام ،

وأمس ، ومنذ<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً : أهمية الإعراب وأقوال العلماء فيه :**

يرى علماء العربية وجميع النحاة إلا من شذ منهم أهمية الإعراب ، وأن

لعلاماته وألقابه دلالاتٍ معينة ، وأغراضاً معنوية ؛ فهي تدل على المعاني المختلفة

التي تَعْتَوِرُ الأسماء من فاعلية ، أو مفعولية ، أو غير ذلك.

وأقوالهم في ذلك كثيرة جداً ، وهذه نبذة من أقوال بعض العلماء :

**\_ قال ابن قتيبة ت ٢١٣ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :** « ولها \_ يعني العرب \_ الإعراب الذي جعله

الله وشياً لكلامها ، وحليةً لنظامها ، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين

المتكافئين ، والمعنيين المختلفين ، كالفاعل والمفعول ، لا يفرق بينهما إذا تساوت

حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما \_ إلا بالإعراب.

ولو أن قائلًا قال : (هذا قاتلٌ أخي) بالتنوين ، وقال آخر : (هذا قاتلٌ أخي)

بالإضافة \_ لدل التنوين على أنه لم يقتله ، ودل حذف التنوين على أنه قد

قتله»<sup>(٣)</sup>.

١- انظر ضياء السالك ١/٤٩-٥٠.

٢- انظر ضياء السالك ١/٥٠.

٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤.

- وقال أبو القاسم الزجاجي ت ٣٣٧هـ رحمته الله : « فإن قال قائل : قد ذكرتَ

أن الإعراب داخل في الكلام فما الذي دعا إليه ، واحتيج إليه من أجله؟  
فالجواب : أن يقال : إن الأسماء لما كانت تعورها المعاني ، وتكون فاعلة  
ومفعولة ، ومضافة ، ومضافاً إليها ، ولم يكن في صورها ، وأبنيتها أدلة على هذه  
المعاني ، بل كانت مشتركة - جُعِلَتْ حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه  
المعاني ، فقالوا : ضرب زيد عمراً ، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له ، وبنصب  
عمرو على أن الفعل واقع به .

وقالوا : ضرب زيدٌ ؛ فدلوا بتغيير أول الفعل ، ورفع زيد على أن الفعل ما لم  
يسم فاعله ، وأن المفعول قد ناب منابه .

وقالوا : هذا غلامٌ زيدٌ ؛ فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه .  
وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ؛ ليتسعوا في كلامهم ،  
ويقدموا الفاعل إذا أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون  
الحركات دالة على المعاني»<sup>(١)</sup> .

ويقول رحمته الله : « وأصل الإعراب للأسماء ، وأصل البناء للأفعال والحروف ؛  
لأن الإعراب إنما يدخل في الكلام ؛ ليفرق بين الفاعل والمفعول ، والمالك  
والمملوك ، والمضاف والمضاف إليه ، وسائر ذلك ما يعتور الأسماء من المعاني .  
وليس شيء من ذلك في الأفعال ولا في الحروف»<sup>(٢)</sup> .

١- الإيضاح على علل النحو للزجاجي ص ٦٩ ، وانظر الأشباه والنظائر للسيوطي ٧٨/١ ، وانظر

فصول في فقه العربية د. رمضان عبدالنواب ص ٣٢٧ .

٢- كتاب الجمل في النحو للزجاجي ص ٢٦٠ .



وقال: «ويسمي النحويون الحركات اللواتي تعتقب في أواخر الأسماء والأفعال الدالة على المعاني إعراباً؛ لأنها بها يكون الإعراب أي: البيان»<sup>(١)</sup>.

- وقال ابن فارس رحمته الله: «من العلوم الجليلة التي خُصت بها العربُ الإعرابُ الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام.

ولولاه ما مُيز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجبٌ من استفهام، ولا صدرٌ من مصدر، ولا نعتٌ من تأكيد»<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمته الله: «فأما الإعراب فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين؛ وذلك أن قائلاً لو قال: (ما أحسنُ زيدُ) غير معرب، أو (ضرب عمرُ زيد) غير معرب لم يوقف على مراده.

فإذا قال: (ما أحسنَ زيداً) أو (ما أحسنُ زيدٍ) أو (ما أحسنَ زيدُ) أبانَ الإعراب عن المعنى الذي أراده.

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها؛ فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني»<sup>(٣)</sup>.

- وقال ابن جني رحمته الله: «باب القول على الإعراب: هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيداً أباه، وشكر سعيداً أبوه - علمت

١- كتاب الجمل في النحو ص ٢٦١-٢٦٢.

٢- الصاحبى ص ٤٣.

٣- الصاحبى ص ١٤٣.

برفع أحدهما، ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شَرْجاً<sup>(١)</sup> واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه.

فإن قلت: فقد تقول ضرب يحيى بُشْرَى، فلا تجد هناك إعراباً فاصلاً، وكذلك نحوه ـ قيل: إذا اتفق ما هذه سبيله مما يخفى في اللفظ حاله، أُلزم الكلام من تقديم الفاعل، وتأخير المفعول ما يقوم مقام بيان الإعراب.

فإن كانت هناك دلالة أخرى من قَبْلِ المعنى وقع التصرف فيه بالتقديم والتأخير؛ نحو أكل يحيى كمثرى ـ لك أن تقدم وأن تؤخر كيف شئت، وكذلك ضربتُ هذا هذه، وكلم هذه هذا، وكذلك إن وضح الغرض بالتشبية أو الجمع جاز لك التصرف نحو قولك: أكرم اليحييان البُشْرَيْنِ، وضرب البُشْرَيْنِ اليحيون، وكذلك لو أو مأت إلى رجل وفرس، فقلت: كلم هذا هذا فلم يجب لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت؛ لأن في الحال بياناً لما تعني.

وكذلك قولك: ولدتُ هذه هذه، من حيث كانت حال الأم من البنت معروفة، غير منكورة.

وكذلك إن ألحقت الكلام ضرباً من الإتياع جاز لك التصرف لما تُعقب من البيان، نحو ضرب يحيى نفسه بُشْرَى، أو كلم بشري العاقل مُعَلَّى، أو كلم هذا وزيداً يحيى.

ومن أجاز قام وزيد عمرو لم يُجز ذلك في نحو (كلم هذا وزيد يحيى) وهو

١- الشرح: النوع والضرب.

يريد كلم هذا يحيى وزيد، كما يجيز (ضرب زيدا وعمرو جعفر)»<sup>(١)</sup>.  
وهكذا يتبين لنا أن العلماء القدماء يتفوقون على أهمية الإعراب، وضرورته،  
ويبينون أن الجملة لو كانت غُفلاً من الإعراب لاحتملت معاني عدة؛ فإن أُعْرِبَتْ  
نصّت على معنى واحد<sup>(٢)</sup>.  
وقد تبعهم في ذلك أكثر المُحدّثين، ومنهم المستشرقون؛ فكثير منهم أقرّ بأنّ  
الإعراب هو المميز للغة.  
وبهذا يتبين أنه لا بد للكاتب من معرفة النحو والصرف وإلا كانت كتابته  
مشمّتة على الخطأ، والخلل.

وإن من أعظم ما يعين على ذلك دراسة كتب النحو والصرف وفهمها.  
ومن أنفعها للمبتدئ متن الآجرومية، ومن أحسن شروحها شرح الشيخ  
محمد محيي الدين عبد الحميد المعروف بالتحفة السنية، وكذلك حاشية الشيخ  
عبدالرحمن بن قاسم.  
ثم يرتقي إلى كتاب قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام، وشرحه لابن هشام  
- أيضاً - ثم ينتقل إلى ألفية ابن مالك وشرحها، ومن أنفع تلك الشروح شرح  
ابن عقيل، وشرح ابن الناظم، وشرح ابن هشام المعروف بـ: أوضح المسالك.  
وإذا أراد التعمق فعليه بكتاب مغني اللبيب لابن هشام، وشرح التصريح  
على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، وشرح الرضي على الكافية.

١- الخصائص لابن جني ٨٩/١.

٢- انظر فصول في فقه العربية ص ٣٢٨.

ومن الكتب الميسرة في النحو: القواعد الأساسية للسيد أحمد الهاشمي،  
وجامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني.  
وأغلب الكتب الماضية تجمع بين النحو والصرف.  
ومن الكتب الخاصة بالصرف شذا العرف في فن الصرف للحملاوي،  
والصرف للمراغي، والتطبيق الصرفي للدكتور عبده الراجحي.

#### ٥\_ العلم بفقہ اللغة

**فهو فن عظيم**، وفرع شريف من فروع اللغة، يطلق على العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة، ويتناول كثيراً من الموضوعات المهمة فيها كالقول في أصل اللغة، والخلاف في ذلك، وكمعرفة سنن العرب في كلامهم، والوقوف على خصائص اللغة، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.  
ويتناول \_ كذلك \_ علم الأصوات اللغوية، ولهجات العرب واختلافها، ودلالة الألفاظ، وتطورها، وانحطاطها.  
ويتناول الاشتقاق، والمشارك، والمترادف، والمتضاد، والنحت، والمشجر، والتعريب وضوابطه، والمعاجم العربية، ومدارسها، ومناهج أصحابها.  
ويتناول \_ أيضاً \_ مواكبة اللغة العربية للجديد، واستيعابها للمصطلحات الجديدة، كالمصطلحات الطبية، والصناعية وغيرها.  
ويتناول جهود العلماء في اللغة قديماً وحديثاً.  
ويتناول العناية بالدراسات التي تقوم بها الجامعات اللغوية، وما يتمخض عنها من نتائج وقرارات.

ويعنى كذلك بما تواجهه العربية من عقبات ، وما يُحاك ضدها من مؤامرات .  
 ويعنى بقضايا الدعوة إلى العامية ، وترك الإعراب ، وإصلاح الخط العربي .  
 وما إلى ذلك مما يتناوله علمُ : فقه اللغة .  
 ولا ريب أن الكاتب بحاجة لهذا العلم ؛ إذ به يعرف سنن العرب في كلامها ،  
 ويتمكن من الكتابة السليمة ، ويكون معتزلاً بلغته متمكناً من معرفة أسرارها .  
 هذا وإن من أهم المؤلفات في هذا العلم مما يعد نواةً له كتابين :

**أولهما : كتاب (العين) للخليل بن أحمد :** وهو أول معجم عربي ، بناه مؤلفه  
 على طريقة مبتكرة من الترتيب الصوتي ؛ إذ استطاع الخليل أن يرتب مخارج  
 الأصوات من أقصى الحلق إلى الشفتين ، ويقيم معجمه على نظام التقاليد  
 الصوتية .

كما أنه ﷺ استطاع أن يحدد المهمل من كلام العرب ، والمستعمل .  
 ولعظم هذا العمل صعب على كثير من أعداء الإسلام والعربية أن ينسبوه إلى  
 الخليل ؛ فراحوا يكيلون التهم ، ويدعون أن الخليل اقتبس عن غيره من الأمم  
 السابقة التي عرفت النظام الصوتي والمعجمي .

**\_ أما الكتاب الآخر فهو (كتاب سيبويه) :** وهو عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب  
 بـ : سيبويه .

وكتابه يعد - بحق - دستور النحو العربي ، والذي اتخذ العلماء بعد سيبويه  
 أساساً لمؤلفاتهم شرحاً وتحليلاً .

وكل ما أضيف إلى النحو العربي بعد هذا الكتاب لا يقارن بالكتاب .

وقد عالج سيبويه رحمته الله في كتابه القضايا النحوية، والصرفية. كما تحدث عن الأصوات: مخارجها، وصفاتها في آخر الكتاب. كما أنه اشتمل على مسائل في التقديم والتأخير، ومعاني الحروف، ومحاسن العطف، ونحوها؛ فكان عمدة علماء البلاغة من بعده، فهو يعد عملاً لغوياً متكاملًا؛ ولقد كان كتابه محل القبول، والثناء، وكان له منزلة مرموقة.

ومما ذكره ابن جني في الثناء عليه وعلى علمه قوله: «ولما كان النحويون بالعرب لاحقين، وعلى سمتهم آخذين، وبألفاظهم متحلّين، ولمعانيهم وقصودهم آمين - جاز لصاحب هذا العلم - يعني سيبويه - الذي جمع شعاعه، وشرع أوضاعه، ورسم أشكاله، ووسم أغفاله، وحلج أشطانه، وبعج أحضانه، وزم شوارده، وأفاد نوادره - أن يرى فيه نحواً مما رأوا»<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري مثنياً على سيبويه:

ألا صلى الإله صلاةً صدق  
على عمرو بن عثمان بن قنبر  
فإن كتابه لم يغن عنه  
بنو قلم ولا أعواد منبر

هذه نبذة موجزة عن جهود العلماء في التأليف في اللغة، تلك التأليف التي كانت كالمقدمات، والإرهاصات لظهور (فقه اللغة) كعلم مستقل.

أما البداية الحقيقية لفقه اللغة وظهوره كعلم مستقل - فكانت على يد عالين من علماء اللغة الكبار في القرن الرابع؛ حيث كان لهما أكبر الأثر في التأليف في (فقه اللغة) وتعد مؤلفاتهما البداية الحقيقية لإفراد هذا العلم بكتب خاصة.

الأول: أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ: الذي ألف مجموعة من الكتب اللغوية وغيرها، ومنها كتاب: (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها).

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة).

وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً. وقد عالج ابن فارس رحمته الله في كتابه (الصاحبي) عدداً من الموضوعات التي تعد من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه. قال رحمته الله في مقدمة كتابه: «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف العلماء المتقدمين - رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء - . وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مشكل، أو جمع متفرق»<sup>(١)</sup>.

ثم بعد ذلك شرع رحمته الله في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها. وكحديثه عن اختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف. وكحديثه عن الخطاب المطلق والمقيد، وعن الحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والحذف والاختصار، والإتباع، والنحت، والإشباع، وغيرها.

وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على ٢٠٧ من الأبواب.

كل ذلك مع أن الكتاب في مجلد واحد، ويقع بعد التحقيق في ٢٣٨ صفحة.

وقد طبع عدة طبعات، ولعل من آخرها طبعة دار الكتاب العلمية ١٤١٨هـ\_١٩٩٨م.

وقد علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج.

كما أن ابن فارس رحمته الله أثرى المكتبة العربية بمعجم سماه (مقاييس اللغة).

وهو من أضخم المعاجم العربية.

وله معجم آخر اسمه (مجمل اللغة).

وهذه الكتب تدل على عقلية جبارة، وموهبة فذة مبتكرة.

**الآخر: أبو الفتح عثمان بن جني:** كان أبوه جني مملوكاً رومياً لسليمان ابن فهد بن أحمد الأزدي الموصلية.

وجني بكسر الجيم وتشديد النون مكسورة، وسكون الياء - معرب كني.

ولد في الموصل سنة ٣٠٠هـ، وقيل ٣٢٢هـ وتوفي في بغداد عام ٣٩٢هـ.

كان ابن جني رجلاً جاداً، وامراً صادقاً في فعله وقوله؛ فلم يعرف عنه اللهو، والشرب، والمجون.

وكان المتنبّي يجله، ويقول فيه: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس»<sup>(١)</sup>.

وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: «سلوا صاحبنا أبا الفتح».

وكان يقول: «ابن جني أعرف بشعري مني»<sup>(١)</sup>.

١- معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٠٢/٢ و١٠٢.



وكان ابن جنبي يعجب بشعر المتنبي ، ويستشهد بشعره في المعاني ، وهو أول من شرح ديوانه ، وله في ذلك شرحان : كبير وصغير .  
ويعد ابن جنبي من كبار علماء العربية وأفذاذها .  
وكان محل الثناء من قبل كثير من العلماء ، قال عنه الثعالبي : « هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب »<sup>(٢)</sup> .  
وقال عنه الفيروز آبادي : « الإمام الأوحى ، البارع المتقدم »<sup>(٣)</sup> .  
وله كتب كثيرة في فنون مختلفة لم تعرف العربية لها نظيراً .  
وله فيما يعد من صميم فقه اللغة كتابان جليلان .  
**أولهما : كتاب (الخصائص) :** حيث عالج فيه كثيراً من قضايا فقه اللغة ، وقدم نظريات وآراء تجاري أو تفوق أحدث ما قال به العلماء في العصر الحديث .  
وقد تحدث في كتابه المذكور عن موضوعات كثيرة تعد من صميم فقه اللغة .  
ومنها حديثه عن أصل اللغة ، ومقاييس العربية ، وتداخل اللغات ، والاشتقاق الأكبر ، والإدغام ، والعلاقة بين الألفاظ والمعاني ، والتقديم والتأخير ، واستخلاص معاني الأوصاف من المعاني ، والإبدال .  
وقد طبع عدة طبعات ، وطبع أخيراً بتحقيق د. عبد الحميد هندراوي ، ونشرته دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م  
وهذه الطبعة تتميز بحسن إخراجها ، ودقة فهرسها ، حيث يستطيع الباحث

١- شذرات الذهب لابن العماد ١٤١/٣ .

٢- بيتيمة الدهر للثعالبي ١٢٤/١ .

٣- البلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ص ١٣٧ .

من خلالها الوصول إلى آراء ابن جني عبر الفهارس بدون كلفة.

أما كتابه الثاني فهو: (سر صناعة الإعراب): وقد خصه ابن جني لدراسة الأصوات؛ فكان أول عالم في العربية يفرد هذا البحث بكتاب مستقل؛ حيث كان قبله يُدرَسُ ضمن بحوث النحو كما في كتاب سيوييه، والمقتضب للمبرد.

وقد قدم ابن جني في كتابه مباحث قيمة في علم الأصوات مستفيداً من سابقه، ومضيفاً إليه الكثير؛ فهو في مقدمته يتحدث عن الفرق بين الصوت والحرف، وهو يُشَبِّهُ الحلق والفم بالناي، ويذكر أن الحركات أبعاض حروف المد.

ثم يتحدث عن الحروف، ومخارجها، وأجناسها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة، والمستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مستقصىً مشروحاً.

وبعد ذلك يعقد لكل حرف من حروف العربية مرتبة على الحروف الألفبائية باباً يتكلم فيه على صفاته، ومخرجه، وما يعرض له من قلب، أو إبدال، أو إدغام، كما يتعرض لكثير من القضايا النحوية.

كما تحدث عن تصريف حروف المعجم، واشتقاقها، وجمعها، كما تحدث عن مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك وما يمتنع، وما يحسن وما يقبح إلى غير ذلك مما حفل به ذلك الكتاب.

والناظر في هذا الكتاب يلحظ فيه مزايا عديدة منها على سبيل الإجمال: غزارة المادة، والوضوح، والسهولة، والشمول، والاستقصاء.

وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً في مجلدين طبعة طيبة معتنى بها كثيراً، حيث درسها وحققها د. حسن هنداوي، وقد قدم للكتاب بمقدمة رائعة بين فيها شيئاً

من سيرة ابن جنبي، وأردفها بحديث مائع عن الكتاب، وعن سبب تسميته، وعن بعض مزاياه.

هذا وقد ظهر بعد الكتب السالفة كتب كثيرة في فقه اللغة منها على سبيل المثال:

أ- فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ٤٣٠هـ: ويعد الكتاب الثاني الذي وصل إلينا حاملاً مسمى (فقه اللغة) بعد كتاب (الصاحبي) لابن فارس. وعنوان هذا الكتاب لا يطابق مسماه تماماً؛ إذ هو معجم للمعاني في مجمله، وفيه بعض الفصول في فقه اللغة، كحديثه عن أساليب العربية في التعبير من حقيقة ومجاز، وتقديم وتأخير، وحذف واختصار.

وفيه حديث عن الإبدال، والقلب، والنحت، وغيرها.

وقد طبع طبعات عديدة، منها طبعة دار الكتب العلمية بيروت، وطبعة دار مكتبة الحياة، وجاء عنوان الكتاب فيها (فقه اللغة وأسرار العربية)، ولعل أجود الطبعات طبعة دار الكتاب العربي، تحقيق ومراجعة د. فائز محمد، و د. إميل يعقوب.

ب- المخصص لابن سيده ت ٤٥٨هـ: وهو معجم قيّم ضمّنه بعض المباحث في نشأة اللغة، والترادف، والتضاد، والاشتراك، والتعريب، والتذكير، والتأنيث، والمقصور، والمنقوص.

ج- المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠هـ: وقد قدّم له بالحديث عن الألفاظ المُعَرَّبَة، ومذاهب العرب في

استعمال الأعجمي ، وكيف نتعرف على ذلك.

### د- المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت ٩١١هـ.

وهذا الكتاب موسوعة في علوم اللغة ، وقد ضمَّنه موضوعات لغوية عديدة اقتبسها من كتب السابقين ، ورتبها وعرضها عرضاً جيداً؛ حيث جعل مؤلِّفه في خمسين نوعاً: ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث لطائفها ومُلحها، وواحد راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها، وثمانية راجعة إلى حال اللغة ورواتها، ونوع لمعرفة الشعر والشعراء، والأخير لمعرفة الأغلاط. وفي ضمن هذه الأنواع مادة واسعة حول نشأة اللغة، والمصنوع والفصيح، والغريب، والمستعمل والمهمل، واللغات، واللهجات، والإبدال، والقلب، والنحت، والاشتقاق، والمجاز والمترادف، والمشارك، والمتضاد وغيرها من البحوث اللغوية.

وقد طُبِعَ عدة طبعات منها طبعة دار الجيل بيروت، شرح وتحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

وفي عصرنا الحاضر أُلِّفَ كثير من العلماء والأساتذة المختصين في الدراسات اللغوية كتباً في اللغة وعلومها.

ومن أشهر تلك الكتب كتاب: (دراسات في العربية وتاريخها) للعلامة الشيخ محمد الخضر حسين، وقد احتوى هذا الكتاب على عدد من الرسائل، والموضوعات في اللغة.

ومن تلك الكتب: تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي حيث تضمَّن

كثيراً من مباحث فقه اللغة خصوصاً الجزء الأول منه.

**ومن الكتب في هذا الباب:** من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ، وفقه اللغة د. علي عبدالواحد وافي ، وعلم اللغة د. علي عبدالواحد وافي ، وفقه اللغة في الكتب العربية د. عبده الراجحي ، وفصول في فقه اللغة د. رمضان عبدالتواب ، والمعاجم العربية د. أمين فاخر ، ومقدمة لدراسة علم اللغة د. حلمي خليل ، ومقدمة لدراسة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج ، والوجيز في فقه اللغة العربية عبدالقادر محمد مايو ، وفقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي ، وفقه اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب.

هذه نبذة عن علم فقه اللغة ، وإنما أطلت في هذه الفقرة؛ لمسيس حاجة الكاتب إلى هذا العلم ، ولقلة من ينبه عليه ، وينوّه به.<sup>(١)</sup>

## ٦- معرفة البلاغة ، والوقوف على أسرار البيان العربي

فلا غنى للكاتب عن علم البلاغة؛ فهو علم جليل ينهض بأسلوب الكاتب ، ويرتقي بفصاحته وبلاغته درجات؛ فيتمكن من الإتيان بالكلام الخالي من التعقيد ، الخالص من تنافر الكلمات وضعف التأليف ، المطابق لمقتضى الحال الذي يتمكن في النفوس ، ويُعَرَضُ في صورة مقبولة حسنة.<sup>(٢)</sup>

**قال أبو هلال العسكري رحمته الله متحدثاً عن فضل هذا العلم ومسيس الحاجة**

١ - انظر: فقه اللغة - مفهومه - موضوعاته - قضاياها للكاتب؛ فقد يسر الله فيه جمع كثير مما تناثر من

هذا العلم في القديم والحديث.

٢ - انظر الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٠ ، والإيضاح للخطيب القزويني ص ١٩.

إليه: « اعلم - علمك الله الخير، ودلّك عليه، وقَيّضه لك، وجعلك من أهله - أن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله - تعالى - الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشd، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها.

وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإعجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمّنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعدوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها.

وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه، وقصورهم عن بلوغ غايته، في حسنه وبراعته، وسلاسته ونصاعته<sup>(١)</sup>، وكمال معانيه، وصفاء ألفاظه. وقبيح - لعمرى - بالفقيه المؤتم به؛ والقارئ المهتدى بهديه، والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته، وتمام آله في مجادلته، وشدة شكيمته في حجّاجه<sup>(٢)</sup> وبالعربي

١- النصاعة هنا: الوضوح.

٢- شديد الشكيمة: أبي لا ينقاد. والحجّاج: مصدر حاجه: إذا غلبه في الحجّة.

الصليب<sup>(١)</sup>، والقرشي الصريح<sup>(٢)</sup> - ألا يعرف إعجاز كتاب الله - تعالى - إلا من الجهة التي يعرفه منها الزنجي<sup>(٣)</sup> والنبطي<sup>(٤)</sup>، أو أن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغبي<sup>(٥)</sup>.

إلى أن قال ﷺ: «ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة، ومناقب معروفة؛ منها أن صاحب العربية إذا أخل بطلبه، وفرط في التماسه، ففاته فضيلته، وَعَلَقَتْ بِهِ رذيلةُ فَوْتِهِ - عَفَى عَلَى جميع محاسنه، وعمى<sup>(٦)</sup> سائر فضائله؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيد، وآخر رديء؛ ولفظ حسن، وآخر قبيح؛ وشعر نادر، وآخر بارد - بان جهله، وظهر نقصه.

وهو - أيضاً - إذا أراد أن يصنع قصيدة، أو ينشئ رسالة - وقد فاته هذا العلم - مزج الصفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر<sup>(٧)</sup>، واستعمل الوحشي العكر؛ فجعل نفسه مهزأة<sup>(٨)</sup> للجاهل، وعبرة للعاقل؛ كما فعل ابن جحدر في قوله:

١ - الصليب: الخالص النسب.

٢ - الصريح: الخالص النسب.

٣ - الزنجي: بفتح الزاي وكسرهما: واحد الزنوج وهم جيل من السودان.

٤ - النبطي: واحد النبط بفتح التين وهم جيل من العجم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين.

٥ - كتاب الصناعتين ص ١ - ٢.

٦ - عمى: أخفى. والسائر: الباقي.

٧ - الغرة: النفيس من كل شيء، والعرة: القدر.

٨ - هزواً.

حلفتُ بما أرقلتُ حَوْلَهُ هَمْرَجَلَةٌ خَلَقَهَا شَيْظَمٌ<sup>(١)</sup>  
وما شَبْرَقَتْ مِنْ تَنْوْفِيَّةٍ بِهَا مِنْ وَحَى الْجِنِّ زِيْزِيمٌ<sup>(٢)</sup>  
وأشده ابن الأعرابي ، فقال : إن كنت كاذباً فالله حسبيك .

وكما ترجم بعضهم كتابه إلى بعض الرؤساء : مُكَرَّكَسَةٌ تَرَبُّوتًا وَمَجْبُوسَةٌ بِسَرِّيَّتًا .

فدلَّ على سخافة عقله ، واستحكام جهله ؛ وضرَّه الغريب الذي أتقنه ولم ينفعه ، وحطه ولم يرفعه لما فاته هذا العلم ، وتخلف عن هذا الفن .  
وإذا أراد - أيضاً - تصنيف كلام منشور ، أو تأليف شعر منظوم ، وتخطى هذا العلم ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه ؛ فأخذ الرديء المزدول ، وترك الجيد المقبول ، فدل على قصور فهمه ، وتأخر معرفته وعلمه .

وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله ؛ كما أن شعره قطعة من علمه<sup>(٣)</sup> .  
ومن خلال ما مضى يتبين لنا أهمية علم البلاغة للكاتب ؛ فحقيق على مَنْ يمارس صناعة الكتابة أن يكون ذا دراية ، واطلاع على هذا العلم .  
وإنَّ مما يعينه على ذلك أن يقف على ما كُتِبَ فيه ؛ فَعِلْمُ البلاغة كان مندرجاً في جملة علم الأدب ، وكانت مسأله شُعْبَةً من شعب النحو والأدب ؛ وكانت

١- أرقلت : أسرعت . والهمرجلة : الناقة . والشيزم : الطويل الجسم الفتي من الإبل والخيول والناس .

٢- شبرقت : الشبرقة : عدو الدابة وخذأ . والتنوفية : المفازة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، والوحى : الصوت الخفي ، وزيزيم : صوت الجن .

٣- كتاب الصناعتين ص ٢-٣ .



مبثوثة في ثنايا مؤلفات العلماء ككتاب سيوييه، وكطبقات الشعراء لابن سلام، والبيان والتبيين للجاحظ، والبديع لابن المعتز، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، والموازنة بين أبي تمام والبحثري للآمدي، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني.

ثم أَلَفَ أبو هلال العسكري ت ٣٩٥هـ كتابه العظيم (كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر) فعرض زبدة تلك الكتب، وصار كتابه من أمهات البلاغة.

ثم جاء الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ت ٤٧١هـ فخصَّ علم البلاغة بالتدوين في كتابيه: (كتاب دلائل الإعجاز) و(كتاب أسرار البلاغة) فأعطى ألقاباً للمسائل، وأخرج الكلام في الإعجاز عن الصفة الجزئية إلى قواعد كلية مسهبة مبرهنة.

ولم يَصِرْ علم البلاغة فناً مهذباً إلا منذ صنف يوسف السكاكي ت ٦٢٦هـ القسم الثالث من كتابه (مفتاح علوم العربية).

حيث جمع زبدة ما كتبه الأئمة قبله في هذه الفنون، ونظم لآئها المتفرقة في تضاعيف كتبهم، وأحاط بكثير من قواعدها المبعثرة في الأمهات، ورتبها أحسن ترتيب، وبوبها خير تبويب، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض؛ لما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة.

وقد اختصر مؤلفه في كتاب آخر سماه (التبيان) ولخصه بعض المتأخرين في أمهات مشهورة كما فعل ابن مالك في كتابه (المصباح) والخطيب جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩هـ في كتابيه (تلخيص المفتاح)

و(شرح الإيضاح).

والأخير مؤلف جليل جمع فيه مؤلفه خلاصة (المفتاح) و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) و (سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي.

ثم طفق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والحواشي على المفتاح وتلخيصه للقزويني، وصرفوا جلَّ همتهم في تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين، والجمع بين ما تناقض من أرائهما.

ومن أجلَّ تلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازاني ت ٧٩١هـ، وشروح السيد الجرجاني ت ٨١٦هـ، ثم تابعت التقارير، والحواشي توضح ما انبههم من تلك التراكمات المجلمة، والعبارات الغامضة.

ومما يحسن التنبيه عليه أن أساليب التأليف في تلك العصور قد ملكت عليها العجمة أمرها، ومن ثم لم يكن للقارئ أن يجعلها قدوة في أساليبها؛ فهي أخرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية لا لغوية أدبية، تشرح كلام العرب، وتبين مزاياه.

ثم أنشئت في العصر الحديث المدارسُ العالية والثانوية في مصر، فألفت المختصرات التي تناسب تلك البرامج المدرسية، ومن جملة ذلك ما أُلِّفَ في البلاغة، فهي - وإن اختلف ترتيبها، وتبويبها - تنحو في الجملة منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه.<sup>(١)</sup>

ومن أهمها كتاب: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال

١ - انظر علوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغي ص ٩-١١.

الصعيدي.

ومن الكتب التي أُلِّفت فيها - زيادة على ما ذكر آنفاً - المثل السائر لابن الأثير، هذا في القديم.

أما في العصر الحديث فهناك كتب كثيرة منها: موجز البلاغة لابن عاشور، والبلاغة الواضحة لعلي الجارم، ومصطفى أمين، وهو كتاب سهل ميسور، وسلسلة (في البلاغة العربية) د. عبدالعزیز عتيق، والبلاغة تطور وتاريخ د. شوقي ضيف، ومعجم البلاغة د. بدوي طبانة، والبلاغة العربية د. بكري شيخ أمين. فهذه نبذة عن علم البلاغة، وبيان أهميته والتأليف فيه.

#### ٧- معرفة الإملاء، ومراعاة علامات الترقيم

فذلك من أهم ما يجب على الكاتب؛ فإذا كان عالماً بالإملاء سلمت كتابته من الأخطاء الإملائية.

وإذا كان مراعيًا لعلامات الترقيم ساعد ذلك على توضيح مراده؛ فعلامات الترقيم تبين المعنى، وتزيل بعض الإشكالات.

والمقصود بالترقيم هنا: علامات اصطلاحية توضع في أثناء الكلام، أو في آخره كالفاصلة، والنقطة، وعلامتي الاستفهام والتعجب، وكالفاصلة المنقوطة، وعلامات التنصيص، والشرط وهكذا....

ومن أحسن ما كُتِب في الإملاء: كتاب الإملاء للشيخ حسين والي.

ومن أحسن ما كُتِب في الترقيم: كتاب الترقيم وعلاماته في اللغة العربية للعلامة أحمد زكي باشا.

### ٨\_ الاطلاع على الكتب التي تعنى بصناعة الكتابة

والمقصود بها الكتب التي تتناول أدب الكتابة، وتضع لها القواعد العامة، والمعالم البارزة؛ فتتناول الألفاظ، والتراكيب، وتعنى بطرائق الكلام، وملاءمته، وإعطاء كل مقام حقه، وتضرب الأمثلة على ذلك كله.

**ومن الكتب المؤلفة في هذا:** أدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكتاب للصولي، وكتاب الفرق لابن فارس اللغوي، وكتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت اللغوي، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وجواهر الألفاظ لقدامة ابن جعفر، والمثل السائر لابن الأثير، والألفاظ الكتابية للهمذاني الكاتب، وسحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي، والمنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء لأبي العباس الجرجاني، وكتاب الكناية والتعريض للثعالبي، وكتاب الكتاب لابن درستويه، وشرح أدب الكاتب لأبي منصور الجواليقي، ومعالم الكتابة ومغانم الإصابة لعبدالرحيم بن علي القرشي.

ويدخل في هذا القبيل كتب المعاجم؛ فهي تمد الكاتب بثروة لغوية هائلة، كمعجم العين للخليل، والمقاييس لابن فارس، والجمهرة لابن دريد، والمحكم لابن سيده، وتهذيب اللغة للأزهري، وأساس البلاغة للزنجشيري، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي<sup>(١)</sup>.

ويدخل في ذلك الكتب التي تعنى بأكابر الكتاب، وتقوم على دراسة

١\_ انظر في الحديث عن هذه المعاجم، وبيان مزاياها، والمآخذ عليها، وطريقة أصحابها، وكيفية

البحث فيها إلى كتاب: فقه اللغة: مفهومه - موضوعاته - قضاياها. للكاتب ص ٣٠٣-٣٩٧.

أساليبهم وطرائقهم ككتاب أمراء البيان لمحمد كرد علي، حيث تعرض في هذا الكتاب لدراسة عشرة من أكابر كتاب العربية.

### ٩\_ الوقوف على أمثال العرب

فمما يحسن بالكاتب أن يكون ذا معرفة واطلاع على أمثال العرب؛ وهي أقوال موجزة مرسلة تشبه حالاً مشاهدة بأحوال منظورة. والذي يجمع بين الحال السابقة والحال القائمة هو المماثلة. وللأمثال أثر في النفوس، وسيرورة في الناس؛ فهي خفيفة الظل، سريعة الحفظ، تمزج الهزل بالجد، وتشير إلى ما تريد بطرف خفي؛ فهي كالرموز والإشارات التي يُلَوِّح بها على المعاني تلويحاً. وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الإخلال بمعرفتها.

قال عبدالرحمن بن هذيل رضي الله عنه: «وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر، والبيت النادر، وما يحكى عن أهل العصور من الأخبار العجيبة، وما وقع لهم من الألفاظ البليغة، والمعاني الغريبة؛ ففي ذلك العلم بالأمور، والعقل المكتسب، والأدب الصادر عن ذي المروءة والحسب»<sup>(١)</sup>.

وإليك هذا النموذج الثري من كلام الإمام الشوكاني رحمته الله في كتابه أدب الطلب حاثاً على طلب العلم، محذراً من الكسل، مبيناً عواقبه الوخيمة. وفي هذا المثل يتبين لك كيف وظّف الأمثال لما يريد أن يصل إليه.

١\_ عين الأدب والسياسة وزين الحسب والسياسة لعلي بن هذيل ص ١٥٩، وانظر المثل السائر

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « فَإِنْ مِنْ أَرْسَلَ عَنَّانَ شَبَابَهُ فِي الْبَطَالَاتِ ، وَحَلَّ رِبَاطَ نَفْسِهِ فَأَجْرَاهَا فِي مِيَادِينِ اللَّذَاتِ \_ أَدْرَكَ مِنَ اللَّذَةِ الْجِسْمَانِيَةِ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَتَفَقَّحُ لَهُ مِنْهَا ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا مَالٍ وَجَمَالٍ .

ولكنها تنقضي عنه اللذة، وتفارقه هذه الحلاوة \_ إذا تكامل عقله، ورجح فهمه، وقوي فكره؛ فإنه لا يدري عند ذلك ما يدهمه من المرات التي منها الندامة على ما اقترفه من معاصي الله، ثم الحسرة على ما فوته من العمر في غير طائل، ثم على ما أنفقه من المال في غير حله، ولم يفز من الجميع بشيء، ولا ظفر من الكل بطائل.

وتزداد حسرته، وتتعاظم كربته \_ إذا قاس نفسه بنفس من اشتغل بالمعالي من أترابه في مقتبل شبابه؛ فإنه لا يزال عند موازنة ذاته بذاته، وصفاته بصفاته \_ في حسرات متجددة، وزفرات متصاعدة، ولا سيما إذا كان بيته في العلم طويل الدعائم، وسلفه من المتأهلين لمعالي المكارم.

فإنه حينئذ تذهب عنه سكرة البطالة، وتنقشع عنه عماية الجهالة \_ بكروب طويلة، وهموم ثقيلة، وقد فات ما فات، وحيل بين العير والنزوان<sup>(١)</sup>، وحال

١ - النزوان : الوثبان ، ونزوان العير : وثوبه على أنثاه ، وأول من قاله صخر بن عمرو السلمي أخو

الخنساء :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

انظر : لسان العرب ٣١٩/١٥ .

الجَرِيضُ دون القريض<sup>(١)</sup> وفي الصيف ضيَّعتِ اللبن<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

هذا وإن عند العرب رصيد ضخم من الأمثال لا يحويه كتاب، ولا يستوفيه مصنف.

ومن الكتب المصنفة في ذلك أمثال العرب للمفضل الضبي، وكتاب الأمثال لأبي عبيد، ومجمع الأمثال للميداني، والمستقصى من أمثال العرب للزمخشري، ومعجم الأمثال العربية د.محمود صيني وناصر عبدالعزيز، ومصطفى سليمان وغيرها.

#### ١٠- معرفة أيام العرب والوقائع

فيحسن بالكاتب أن يكون ذا بصر بأيام العرب، ومعرفة بالوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام؛ فإن أيام العرب تتنوع، وتشعب؛ فمنها أيام فخار، ومنها أيام محاربة، ومنها أيام منافرة، ومنها غير ذلك.

ومن الأيام المشهورة عند العرب يوم حليلة، ويوم خزاز، ويوم بعث،

١ - قولهم حال الجريض دون القريض، قيل: الجريض: الغصة، والقريض: الجرة، وقيل الجريض: الغصص، والقريض: الشعر، وقال الرياشي: القريض والجريض يحدُّثان بالإنسان عند الموت. انظر لسان العرب ٧/١٣٠.

٢ - الصيف ضيَّعتِ اللبن: هذا مثل مشهور عند العرب، وكذلك قولهم: حيل بين العير والنزوان، وقولهم حال الجريض دون القريض.

وهذه الأمثال الثلاثة تضرب لمن يضيع الأمر، ثم يريد استدراكه بعد فوات الأوان، وتقال: عند كل أمر كان مقدوراً عليه؛ فحيل دونه.

٣ - أدب الطلب ص ١٣٥.

وغيرها من الأيام سواء في الجاهلية أو الإسلام.  
وهناك كتب مصنفة في هذا الصدد، كأيام العرب في الإسلام لمحمد أبو الفضل إبراهيم وغيره، كما أن هذه الأيام ترد ضمناً في كتب العلماء، والأدباء، والتواريخ.  
ولا يخلو الناظر أو الناثر من الانتصاب لوصف يوم يمر به في بعض الأحوال، ومماثل له؛ فإذا جاء بذكر بعض الأيام المناسبة لمراعاة الموافقة له، وقاس عليه - فإنه يكون في غاية الحسن والرونق - كما يقول ابن الأثير<sup>(١)</sup>.  
وأما الوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فإنها كالأمثال في الاستشهاد بها.<sup>(٢)</sup>

### ١١- العرص على الأخذ من كل فن بطرف

فبالجملة فإن صاحب صناعة الكتابة - كما يقول ابن الأثير - : «يحتاج إلى التشبث بكل فنٍّ من الفنون، حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادرة بين النساء، والماشطة عند جلوة العروس، وإلى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة؛ فما ظنك بما فوق هذا؟  
والسبب في ذلك أنه مؤهل لأن يهيم في كل واد؛ فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن»<sup>(٣)</sup>.

١ - انظر المثل السائر ٢٤/١.

٢ - انظر المثل السائر ٢٤/١.

٣ - المثل السائر ٣١/١.



هذا وإن للعرب قِدْحاً مُعَلِّىً في التأليف والتفنن فيه؛ فمن أراد تنمية مداركه، وتوسيع نطاق علمه - فليقف على ما ألفوه في أي فن يريده، وسيجد ما يشبع نهمته، ويروي غلته؛ فالذي يقف على ما شاده الأوائل، وكتبه يأخذه العجب، ويذهب به كل مذهب.

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمته الله في أثناء حديث له عن تاريخ العلوم، وما وصلت إليه في بعض مراحل التاريخ الإسلامي: «ومما تقدم إلى هنا: تعلم أن العلوم التي كانت تدرس وتدون يومئذ تنتهي إلى اثنين وثلاثين علماً هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع عن بعضها مثل مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر»<sup>(١)</sup>.

هذا بالنسبة للفنون والموضوعات، أما ما يندرج تحتها من أفراد ومؤلفات فلا يمكن حصره.

## ١٢\_ الاطلاع على كتابات أرباب البيان

وذلك بالانصباب على مطالعة المنشآت البعيدة الغور في بيانها، المنتمية إلى الطرف الأعلى في عذوبة ألفاظها ورشاقة معانيها ككتابات ابن المقفع،

١ - أليس الصبح بقريب ص ٣٩.

وعبد الحميد الكاتب، والجاحظ، وابن قتيبة، وسهل بن هارون، وعمرو ابن مسعدة، وأبي حيان التوحيدي، وابن العميد.<sup>(١)</sup>

وقل مثل ذلك في كتابات كثير من الكتاب المُحدثين على تنوع مدارسهم، كالمنفلوطي، والرافعي، والزيات، وشكيب أرسلان.

وكذلك كتب العلماء الذين يعنون بتحريراتهم؛ فيجمعون إلى العلم التمهراً في الكتابة، وشدة الأسر، وجمال الأساليب كابن عبد البر، وابن الجوزي، وابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، والشاطبي، وابن حجر، والشوكاني.

ومن المعاصرين محمد الخضر حسين التونسي، ومحمد الطاهر بن عاشور التونسي، ومحمد البشير الإبراهيمي الجزائري.

**وأما أشهر الكتب في هذا السياق - زيادة على ما مضى - فأمهات الأدب والبيان، ككتاب الأدب الكبير والأدب الصغير، وكليلة ودمنة وهما لابن المقفع، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرد، والأمالى لأبي علي القالي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والأغانى لأبي الفرج الأصفهاني، وصبح الأعشى للقلشندي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وزهر الآداب للحصري القيرواني، وبهجة المجالس لابن عبد البر، ونفح الطيب للمقري.**

ومن كتب المُحدثين والمعاصرين: النظرات، والعبرات، والمختارات للمنفلوطي، ووحى القلم، وتاريخ آداب العرب للرافعي، والارتسامات اللطاف، والحلل السندسية، وشوقي وصدّاقة أربعين سنة لشكيب أرسلان،

١ - انظر أمراء البيان لمحمد كرد علي.

والرسالة لأحمد حسن الزيات، وفيض الخاطر لأحمد أمين، ورسائل الإصلاح، والحرية في الإسلام، ومحاضرات إسلامية، والهداية الإسلامية، والسعادة العظمى لمحمد الخضر حسين، وأليس الصبح بقريب، وشرح ديوان بشَّار محمد الطاهر بن عاشور، وآثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي خمسة مجلدات.<sup>(١)</sup>

يقول ابن الأثير رحمته الله مبيناً فائدة الاطلاع على كلام المتقدمين في المنظوم والمنثور: «فإن في ذلك فوائد جمّة؛ لأنه يعلم منه أغراض الناس، ونتائج أفكارهم، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة، وتذكّي الفطنة. وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفاً بها - تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد، ويترك ما أراد. وأيضاً فإنه إذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه، ومن المعلوم أن خواطر الناس - وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة - فإن بعضها لا يكون عالياً على بعض أو منحطاً عنه إلا بشيء يسير، وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني، حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى

١ - وقد يسر الله لي انتقاء مائة وستة وثمانين مقالاً وخرجت في ثلاثة مجلدات تحت عنوان: (مقالات

لكبار كتاب العربية في العصر الحديث).

كما خرج - أيضاً - أربعة مجلدات بعنوان (المنتقى من بطون الكتب).

وهي مشتملة على مختارات، ومقطّعات.

واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول، وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر»<sup>(١)</sup>.

### ١٣- سلامة الذوق، ومراعاة مقتضيات الأحوال

وذلك بمراعاة حال القراء، واستشعار أنك أمامهم تنظر في تلقّيهم لما تكتب. ولا يعني ذلك أن تجاملهم على حساب الحقيقة، وإنما تحسن المدخل، وتتلطف في الوصول إلى ما تريد؛ فتسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد، وتتجنب ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق؛ فذلك مما يأخذ بالألباب، ويجعل الكتابة تأخذ طريقها إلى القلوب.

ولهذا كان حرياً بالكاتب أن يكون ذا دراية بأحوال الناس، وأن يصوغ كلامه بما تقتضيه تلك الحال؛ فالناس مختلفون مشارباً وعاداتٍ، وأخلاقاً، وسيناً، ومهنةً، ومرتبةً.

ولكل طائفة من الناس أحوال تقتضي نوعاً من الكتابة لا تقتضيه أحوال الجماعة الأخرى؛ فالجماعة الثائرة -مثلاً- تكاتب بعبارات هادئة؛ لتكون برداً وسلاماً على القلوب.

والجماعة الخنسة تكاتب بعبارات مثيرة للحمية، موقظة للهمة، حافزة للعزيمة.

والجماعة التي شطت وركبت رأسها تكاتب بعبارات فيها قوة العزم، ونور الحق، وفيها إرعاة المنذر، ويقظة المنقذ، وفيها روح الرحمة، وحسن الإيثار؛

١ - المثل السائر لابن الأثير ٢٩/١.

ليجتمع الترغيب مع الترهيب ومع سيف النعمة ريحان الرحمة.  
ثم إن للشباب نوعاً من الكتابة يثير حماسهم، ويوقظ قلوبهم.  
والعلماء يجتذبهم التوقير، وعمق الكلام، ودقته.  
ومكاتبة الرؤساء تقتضي تجملاً بالحياء، والرزانة، والركانة، كما تقتضي  
ابتعاداً عن التملق المزري، وعن أي مظهر من مظاهر التعالي، وتقتضي أخذاً  
بالتلطف، وحسن المدخل، والتلميح بالاعتراض إن كان هناك ما يقتضي ذلك.  
ومن مكملات الكتابة، ومما يدخل في سلامة الذوق أن يتجنب الكاتب تكرار  
الألفاظ إذا لم يكن ثم حاجة لذلك.

قال أبو هلال العسكري رحمته الله متحدثاً عما ينبغي للكاتب:

«وينبغي أن يكثر الألفاظ عنده؛ فإن احتاج إلى إعادة المعاني أعاد ما يعيده منها  
بغير اللفظ الذي ابتدأه، مثل قول معاوية رحمته الله: (من لم يكن من بني عبدالمطلب  
جواداً فهو دخيل، ومن لم يكن من بني الزبير شجاعاً فهو لزيق، ومن لم يكن  
من ولد المغيرة تياًهاً فهو سنيد).

فقال: (دخيل)، ثم قال: (لزيق)، ثم قال: (سنيد).

والمعنى واحد، والكلام على ما تراه أحسن، ولو قال: لزيق، ثم أعاده  
لسمج»<sup>(١)</sup>.

#### ١٤- نبل الهدف، وسلامة القصد

بحيث يكون الباعث على الكتابة نية الإصلاح، ورغبة الوصول إلى الحق، لا

١- كتاب الصناعتين ص ١٥٨.

أن يكون باعثها المرء، والجدال، وطمس الحق، وإظهار الفضل، وانتقاص الآخرين.

ولعل هذا هو السر في خلود كثير من الكتابات، وتجدد نفعها. كما أن لهذا المعنى - في المقابل - أثره في اضمحلال كثير من الكتابات، وقلة نفعها، وتجدد ضررها.

### ١٥- مراعاة حال الخصوم وأتباعهم

خصوصاً إذا كانت الكتابة رداً على أحد؛ فيحسن بالكاتب أن يراعي حال الخصوم، وحال أتباعهم؛ فيحرص على لزوم العدل، والرفق، والتدرج بالخصوم، وتقريبهم من الحق بلطف ويسر. ويحرص - كذلك - على طهارة المنطق، وطلاوة العبارة، والبعد عن الاستعلاء.

ويحرص - كذلك - على اجتناب الكلمات الجافية المستكرهه، ويحذر من إطلاق عبارات السب، والتسفيه؛ فالكتابة التي تُحرر برحابة صدر تلقى من القبول ما لا تلقاه الكتابة التي يخالطها السفه، والطيش.

### ١٦- لزوم الاعتدال

وذلك بأن يكون الكاتب متزناً في طرحه، بعيداً عن التهوين والتهويل؛ فالحقيقة تضيع بين ذلك، والعرب تقول في أمثالها: «خير الناس هذا النمط الأول والأوسط» يعني بين المقصر والغالي. وذلك مما يدل على حكمة الكاتب، ورجحان عقله، وحرصه على الحقيقة.

ومن الاعتدال في الألفاظ أن تكون رشيقة واضحة، وأن يكون الكلام حالاً بين حالين: بين الوحشي الغريب، والسوقي القريب.

**ومن الاعتدال:** أن يبتعد عن التكلف؛ فلا يبالغ في سجع، ولا يقصد إلى التعمية، ولا يأتي بالعبارات القلقة.

**قال أبو هلال العسكري رحمته الله:** «الكلام - أيدك الله - يحسن بسلاسته، وسهولته، ونصاعته، وتخير لفظه، وإصابة معناه، وجودة مَطَالَعِهِ، ولين مقاطعه، واستواء تقاسيمه، وتعادل أطرافه، وتشابه أعجازه بهَوَادِيهِ<sup>(١)</sup>، وموافقة مآخيره لمبادئه، مع قلة ضروراته، بل عدمها أصلاً، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر، فتجد المنظوم مثل المثور في سهولة مَطَالَعِهِ، وجودة مَقْطَعِهِ، وحسن رَصْفِهِ وتأليفه، وكمال صَوْغِهِ وتركيبه.

فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقةً، وبالتحفظ خَلِيقاً<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمته الله: «وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن طائع وهو العباس بن ميمون، من غلمان ابن ميثم، قال: قيل للسيد: ألا تستعمل الغريب في شِعْرِكَ.

فقال: ذاك عِيٌّ في زماني، وتكلف مني لو قلته، وقد رُزقت طبعاً واتساعاً في الكلام، فأنا أقول ما يعرفه الصغير والكبير، ولا يحتاج إلى تفسير، ثم أنشدني:

أَيَا رَبِّ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِالذِّي بِهِ مَدَحْتُ عَلِيًّا غَيْرَ وَجْهِكَ فَارْحَمِ

١ - الهادي: العنق والمتقدم وجمعه الهوادي.

٢ - كتاب الصناعتين ص ٥٥.

فهذا كلام عاقل يضع الشيء موضعه ، ويستعمله في إبانته»<sup>(١)</sup>.  
وقال أبو هلال: «وإياك والتوعر؛ فإن التوعر يُسَلِّمُكَ إلى التعقيد، والتعقيدُ هو الذي يَسْتَهْلِكُ معانيك، ويشين ألفاظك، ومَنْ أراد معنى كريماً فليتمس له لفظاً كريماً؛ فإن حقَّ المعنى الشريفِ اللفظُ الشريف، ومن حقَّهما أن يصونهما عما يندسهما ويفسدهما ويهجنهما، فتصير بهما إلى حدٍّ تكون فيه أسوأ حالاً منك قبل أن تلمس منازل البلاغة، وترتَهِنَ نفسك في ملابستهما»<sup>(٢)</sup>.  
وقال: «وأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدوداً مستكرهاً، ومتوعراً مُتَقَعِّراً، ويكون بريئاً من الغثاثة، عارياً من الرثاثة.

والكلام إذا كان لفظه غثاً، ومعرضه رثاً كان مردوداً ولو احتوى على أجلِّ معنى وأنبله وأرفعه وأفضله»<sup>(٣)</sup>.

**وبالجملة فإن أجود الكلام: السهلُ الممتنع<sup>(٤)</sup>؛ السهل الذي يفهمه من قرأه وسمعه، الممتنع: المتعذر على من رام أن يكتب أو يقول مثله.**  
قال أبو هلال العسكري رحمته الله: «أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا الصولي قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: وصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد يظن أنه يكتب مثل كُتبه؛ فإذا رامها

١\_ كتاب الصناعتين ص ٦١.

٢\_ كتاب الصناعتين ص ١٣٤.

٣\_ كتاب الصناعتين ص ٦٧.

٤\_ انظر كتاب الصناعتين ص ٦١.



تَعَدَّرْتُ عَلَيْهِ» (١).

### ١٧\_ توظيف الثقافة والمعارف لخدمة الموضوع

فمن أعظم ما يرتقي بالكتابة، ومن أجمل ما يحسن بالكاتب - أن يوظف طاقاته وثقافته، ومعارفه لخدمة الغرض الذي يرمي إليه؛ لأجل أن يكون موضوعه متكاملًا مُشبعًا من جميع الجوانب؛ فيجتمع فيه الدليل الشرعي، والشاهد التاريخي، والنكته البلاغية، والنادرة الأدبية، والبيت الشارد، والمثل السائر، وهكذا...

هذا وإن كتب الأوائل حافلة بما يشهد لتنوع المصادر، وتوظيف الثقافة والمعارف لخدمة الموضوع.

وكذلك بعض كتابات المتأخرين.

وإليك طرفاً من هذا القبيل مما رقمته أقلام بعض كتاب العصر:

يقول الشيخ محمد الحضر حسين رحمته الله في رسالة الحرية في الإسلام:

«وإذا علمت نفس طاب عنصرها، وشرف وجدانها أن مطمح الهمم إنما هي غاية، وحياة وراء حياتها الطبيعية - لم تقف بسعيها عند حد غذاء يقوتها، وكساء يسترها، ومسكن تأوي إليه.

بل لا تستفيق جهدها، ويطمئن بها قرارها إلا إذا بلغت مجداً شامخاً يصعد بها

إلى أن تختلط بكواكب الجوزاء». ص ١٠

ويقول: «وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من العلم بقوانين الشريعة، والخبرة

١ - كتاب الصناعتين ص ٦١.

بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء.<sup>(١)</sup>

ومع هذا لا يبرم حكماً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء جماعة من الصحابة.

وإذا نقل له أحدهم نصاً صريحاً ينطبق على الحادثة قال: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا». ص ٢١

ويقول: «وأهم فوائد المشورة تخلص الحق من احتمالات الآراء.

وذهب الحكماء من الأدباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس إلى مذاهب شتى، قال بعضهم:

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً  
فإني رأيت العين تجهل نفسها  
وإن كنت ذا رأي تشير على الصاحب  
وتدرك ما قد حل في موضع الشهب  
وقال آخر:

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر  
والمرء مرأة تريه وجهه  
فالحق لا يخفى على الاثنين  
ويرى قضاة بجمع مرأتين  
وقال آخر:

الرأي كالليل مسوداً جوانبه  
فاضمهم مصابيح آراء الرجال إلى  
والليل لا ينجلي إلا بمصباح  
مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح  
ص ٢٥

١- هذا تضمن لبيت البوصيري:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

والشيخ محمد الخضر رحمته الله من أرباب البيان، خصوصاً في باب الاقتباس و التضمن؛ فهو فارس لا يشق له غبار في هذا الميدان.

ويقول: «لم تغادر الشريعة صغيرة ولا كبيرة من وجوه التصرفات في الأموال إلا أحصتها، وعلقت عليها حكماً عادلاً». ص ٣٤

ويقول: «وأما الآيات الواردة في سياق التزهيد، والخط من متاع الحياة الدنيا فلا يقصد منها ترغيب الإنسان؛ ليعيش مجاناً للزينة، ميت الإرادة عن التعلق بشهواته على الإطلاق.

وإنما يقصد منها - فيما نفهمه - حكم أخرى كتسليية الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض، ومن قَصُرَتْ أيديهم عن تناولها؛ لئلا تضيق صدورهم على آثارها أسفاً.

ومنها تعديل الأنفس الشاردة، وانتزاع ما في طبيعتها من الشرِّه، والطمع؛ لئلا يخرجها بها عن قصد السبيل، ويتطوَّحاً بها في الاكتساب إلى طرق غير لائقة. فاستصغار متاع الدنيا، وتحقير لذائذها في نفوس الناس يرفعهم عن الاستغراق فيها، ويكبرُ بهمهمهم عن جعلها قبلةً يولون وجوههم شطرها حيثما كانوا». ص ٣٨

ويقول: «حب المال هو الذي ينزع من فؤاد الرجل الرأفة ويجعل مكانها القسوة والفظاظة، حتى إذا أظلم الأفق، واسودَّ جناح الليل<sup>(١)</sup> تأبط خنجراً، أو تقلد سيفاً، وذهب يخطو خطأ خفافاً؛ ليأتي البيوت من ظهورها، ويمد بسبب إلى أمتعتها، فإذا دافعه صاحبها أذاقه طعم المنون، وانصرف ثملاً بلذة الانتصار». ص ٤٣-٤٤

ويقول: «ولهذا افتقرت داعية حب المال إلى وازع يسدد طيشها، ويكسر من

١- هذا تضمين من المؤلف ﷺ لقول عمر بن أبي ربيعة:

إذا اسود جناح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً إن حراسنا أسدا

كعوبها إلى أن تستقيم قناتها.<sup>(١)</sup>

والوازع ما ورد في مجمل الشريعة ومُفصلها من الأصول القابضة على أيدي  
الهداجين حول اختلاسها، والعاملين على اغتصابها، أو التصرف فيها بغير ما  
يأذن به صاحبها». ص ٤٤

ويقول: «فمن تحيز عن أمته، وطفق يرمي في وجوههم بعبارات الازدراء،  
وينفت في كأس حياتهم سماً ناقعاً - لا نصِفُه بصفة الغيرة، والوطنية، وإن  
شغفَ بحب ديارهم، وقبلها جداراً بعد جدار<sup>(٢)</sup>». ص ٤٩

ويقول: «وقد دارت هذه الكلمة - كلمة الحرية - على أفواه الخطباء، ولهجت  
بها أقلام الكاتبين ينشدون ضالتها عند أبواب الحكومات، ويقفون عند مكانها،  
وتمكين الراحة من مصافحتها - وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه<sup>(٣)</sup>». ص ١٦  
ويقول الشيخ محمد الخضر في كتابه: (نقض كتاب في الشعر الجاهلي لطفه  
حسين): «فالقلم الذي يناقش كتاب «في الشعر الجاهلي» إنما يطاءً موطئاً يغيب

١- هذا تضمين للشاهد النحوي في باب نصب المضارع:

وكنت إذا غمزت قناة قوم      كسرت كعوبها أو تستقيما

٢- هذا تضمين لقول الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلي      أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حبُّ الديار شغفن قلبي      ولكن حب من سكن الديارا

ولو تتبع أحد هذا الفن - أعني الاقتباس والتضمين - في مؤلفات الشيخ رحمته الله لخرج بمادة علمية  
كبيرة.

٣- هذا تضمين لقول أبي الطيب المتنبي:

بليتُ بلى الأطلال إن لم أقف بها      وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

طائفة احتفلت بهذا الكتاب، وحسبته الطعنة القاضية على الإسلام وفضل العرب ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾. ص ز  
وقال: «وقع نظري تحت هذا الكتاب، وكنت على خبرة من حذق مؤلفه في فن التهكم ولو بالقمر إذا أتسق، والتشكيك ولو في مطلع الشمس الضاربة بأشعتها في كل واد؛ فأخذت أقرأه بنظر يزيح القشر عن لبابه، وينفذ من صريح اللفظ إلى لحن خطابه.

وما نفضت يدي عن مطالعة فصوله، حتى رأيتها شديدة الحاجة إلى قلم ينبه على علائها، ويرد كل بضاعة على مستحقها.  
وما هو إلا أن ندبت القلم لقضاء هذه المآرب، وسداد هذا العوز فلم يتعاص عليّ». ص ١

وقال: «فإن في الإسلام حجةً وحكمة تأخذان ذوي الفطر السليمة، والعقول السامية إلى أن يتصلوا به، ويرضوه، ولو نسلت عليهم الخطوب من كل حدب». ص ١٤١

وقال: «يسهل على المؤلف أن يضع إصبعه في سيرة يزيد بن معاوية، أو حماد الراوية؛ لأنه يجد في التاريخ الصحيح، أو الباطل ما يعبر به إلى الحديث عنهما بغلو أو إغراق، ثم لا يعدم أذناً تصغي إليه، أو قلباً يتلهى به.

أما عمر بن الخطاب فإن سيرته متجلية تحت نبراس من التاريخ الصحيح لا

يستطيع القلم أن يغير منها لونا، أو يسومها كيدا، وإن ركب منهج ديكارت<sup>(١)</sup>،  
وتناول زاده من حقيبة مرجليوث<sup>(٢)</sup>». ص ١٥٦

وقال: «ومن لا يدري ما الإيمان ولا الإخلاص قد يجيء على باله أن يشتري  
سكوت المؤمنين المخلصين بكلمة مديح أو إطراء». ص ٢٤٧

وإليك فقرأ مما قاله العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه: (أليس  
الصبح بقريب) قال ﷺ: «قد كان حدا بي حادي الآمال، وأملى عليّ  
ضميري، من عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، للتفكر في طرق إصلاح  
تعليمنا العربي الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلماً ومعلماً بوافر حاجته  
إلى الإصلاح الواسع النطاق؛ فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى  
ذلك وبيان أسبابه، ولم أنشأ أن أزجيت بقلمني في ابتداء التحرير فإذا هو  
يسابقني كأنه من مطايا أبي العلاء القائل:

ولو أن المطي لها عقول      وجدك لم نشد لها رحالا

وقال: «وصادفت أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام، فقضيتُ  
هواجرها الطويلة، وبكرها الجميلة، في هذا العمل، مشتغلاً به عن محادثة

١ - هو الفيلسوف الفرنسي والعالم الرياضي رينيه ديكاردت ١٥٥٦-١٦٥٠ الذي ابتكر الهندسة  
التحليلية، ثم حاول تطبيق منهجه الرياضي على الفلسفة، وأقام فلسفته على الشك المنهجي، وقد  
تأثر به طه حسين.

٢ - مرجليوث: إنجليزي متعصب، ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) كان عضواً في المجمع  
اللغوي في مصر، والمجمع العلمي في دمشق، وهو من أوائل من شكك في الشعر الجاهلي، وتأثر به طه  
حسين.

الأحباب، وعن دعة التنعم بمغتسلٍ بارد وشراب، حتى وقف بي القلم عند انتهاء الاستراحة في مدة شهرين إلى تحرير جملة كانت مشجعتي على مراجعة عملي هذا في ثلاثة أصياف وعنوانته «أليس الصبح بقريب».

وقال في مقال له عنوانه: «أثر الدعوة المحمدية في الحرية والمساواة»: «لا تجد لفظاً تهواه النفوس، وتهش لسماعه، وتستزيد من الحديث فيه - مع أن معظمهم لا يضبط مقدار المراد منه - مثلَ لفظِ الحرية.

وما سبب ذلك التعلق العام إلا أن معظم من يسمعون هذا اللفظ، أو ينطقون به يحملونه على محامل يخف محملها في نفوسهم.

فالوقح يحسب الوقاحة حرية، فيخف عنده ما ينكره الناس من وقاحته، والجريء الفاتك ينمي صنيعه إليها، فيجد من ذلك مبرراً لجرأته، ومحب الثورة يعد الحرية مسوغاً لدعوته، والمفتون في اعتقاده يدافع الناقمين عليه بأنه حر العقيدة إلى غير هؤلاء.

فيا لله لهذا المعنى الحسن ماذا لقي من المحن، وماذا عدل به عن خير سنن؟»<sup>(١)</sup>.

وقال: «لا تتحقق حرية تامة في نظام البشر؛ لأن تمام الحرية هو الانخلاع عن جميع القيود، وعن كل مراعاة للغير بأن يعيش المرء عيشة الوحوش، وذلك غير مستطاع إلا فيما تخيَّله الشنفرى إذ يقول:

١ - هذا اقتباس من الشاهد النحوي:

ولي دونكم أهلون سيّد عمّلسٌ وأرقط زهلول وعرفاء جيال<sup>(١)</sup>  
 هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما دان يعزل  
 وقال في تفسيره التحرير والتنوير ٢٧٤/١: «فلا ينبغي لمتسبب أن يجازف بقولة  
 سخيفة ناشئة عن قلة تأمل، وإحاطة بموارد الشريعة، وإغضاء عن غرضها،  
 ويؤول إلى تكفير جمهور المسلمين، وانتقاض الجامعة الإسلامية، بل إنما ينظر  
 في الشريعة نظرة مُحيطَة؛ حتى لا يكون ممن غابت عنه أشياء، وحضره شيء<sup>(٢)</sup>،  
 بل يكون حكمه في المسألة كحكم فتاة الحي<sup>(٣)</sup>».

١ - السيّد: الذئب، والعمّلس: السريع السير، والأرقط: النمر؛ لأن فيه نقطاً بيضاً وسوداً،  
 والزهلول: الأملس، والعرفاء: الضبع؛ لأن لها عرفاً من الشعر، والجيال: اسم للضبع.

٢ - هذا تضمين لبيت أبي نواس:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة: حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

٣ - هذا تضمين لبيت النابغة:

احكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثَّمَد

يحفّه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمَد

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزيد

قوله: (فتاة الحي): هي زرقاء اليمامة، وكان يضرب بها المثل في حدة البصر.

وقوله: (شراع): مجتمعة، (والثمد): الماء القليل يكون في الشتاء، ويقال في الصيف.

وقوله: (يحفّه): يحيط به، (والنيق): الجبل، وقوله: (قد): أي حسب، والحسبة: الحساب.

والمعنى أنها أسرع في أخذ حساب الطير في تلك الناحية.

ومعنى البيت: أصب في أمري، ولا تخطئ فيه كما أصابت الزرقاء في عدد الحمام ولم تخطئ.



وقال ﷺ في التحرير والتنوير ٢٧٤/١ بعد أن قرر مسألة العفو عن العصاة: «ولا عجب أعجب من مرور الأزمان على مثل قول الخوارج والإباضية والمعتزلة، ولا ينبري من حذاق علمائهم من يهذب المراد، أو يقول قول قُدَمائه ذلك التأويل المعتاد، وكأني بوميض فِطْنَةٍ نُبِهائهم أخذ يلوح من خِلل الرماد<sup>(١)</sup>».

وهذه فقرة من مقالة للشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي عنوانها: «من نضحات الشرق الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار» وقد تحدث في هذه المقالة عن الشيخ البيطار، ومما قاله ﷺ: «والأستاذ البيطار مجموعة فضائل، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خُلُق فاضل إلا رأيت فيه، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة، لا بأقدار الأئمة، ويعطي كُلاً ما يستحق، جريء على قولة الحق في العلميات، ولكن الجرأة منه

= والقصة - كما زعموا - أن زرقاء اليمامة - وهي من بقايا طسم وجديس - كان لها قطة؛ فمر بها سرب من القطا بين جبلين، فقالت:

ليت الحمام ليهِ      إلى حمامتيهِ  
أو نصفه قديهِ      تم الحمام ميه

فهذه قصة فتاة الحي، ومقصود ابن عاشور ﷺ: انظر إلى الشريعة نظرة شاملة؛ حتى إذا حكمت في أي مسألة - كان حكمك مصيباً جازماً كحكم فتاة الحي. وهكذا وظف تلك القصة لخدمة غرضه.

١ - هذا تضمن بيت من أبيات لنصر بن سيار يقول مطلعها:

أرى خِلل الرماد وميض جَمَرٍ      ويوشك أن يكون لها ضرام

يلطفها الوقار، والوقار فيه تُزيّنه الجرأة، فيأتي من ذلك مزاجٌ خلقي لطيف، متساوي الأجزاء، مزدحم الخلايا، قلّ أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين». وقال متحدثاً عن ذكرياته في دمشق واجتماعه مع أصحابه العلماء: «ثم تعاقبت الاجتماعات وانتظمت، واتسقت أسباب اللقاء، واتسعت آفاق البحث في الأسمار، وكثر الصحب، وما منهم إلا السابق المُعبر، والكاتب المُحبر؛ واللّسن المعبر، فكنا لا نفترق من اجتماع إلا على موعد لاجتماع، وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي الشيخ الأستاذ محمد الخضر حسين - مد الله في حياته -.

ولقد أقيمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً، فأشهدُ صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر، في عمري الغامر، وأنني كنت فيها أقرّ عيناً وأسعد حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً، فوجد الإدبار رائحاً والإقبال آتياً»<sup>(١)</sup>.

إلى أن قال: «ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع<sup>(٢)</sup> وسقت،

١- يشير إلى قول أبي الهندي:

نزلت على آل المهلب شاتياً      غريباً عن الأوطان في بلد محل  
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم      وبرهم حتى حسبتهم أهلي

قال ابن عبد البر رحمه الله في بهجة المجالس ١ / ٢٩٤: «تذاكر أهل البصرة من ذوي الأدب والأحساب في أحسن ما قاله المولّدون في حسن الجوار من غير تعسّف ولا تعجرف، فأجمعوا على بيتي أبي الهندي».

٢- الهوامع: السحب الممطرة.

وأفرغت فيها ما وسقت.<sup>(١)</sup>

وخصت بالثققات الدوايح<sup>(٢)</sup> مجامع الأحباب، وأندية الأصحاب، من الصاحية والجسر والتيرين<sup>(٣)</sup>: المزة والربوة.

فكم كانت لنا فيها من مجالس، نتناقل فيها الأدب، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية، على ود أصفى من بردى تُصَفَّق بالرحيق السلسل<sup>(٤)</sup>، ووفاء أثبت من أواسي قاسيون، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات.

لا توبن في مجالسنا حرمة، ولا يكلم عرض، ولا يقارف مآثم.

وإنما هو الأدب بلا جذب، نهصر أفنانه؛ والعلم بلا ظلم، نطلق عنانه، والفن بلا ضن نروق دنانه، والنادرة بلا بادرة نتلقفها، والنكتة بلا سكتة نتخطفها.

ويا تربة الدحداح، بوركنت من تربة، لا يذوق فيها الغريب مرارة الغربية، ولا زلت مسقطاً لرحمات الله.

١- ما وسقت: أي ما جمعت من ماء.

٢- الدوايح: جمع دلوحة ودلوحة، وهي السحابة المثقلة بالماء.

٣- التيرين: هما جانباً دمشق الشمالي والجنوبي حول نهر بردى.

٤- قوله: «على ود أصفى من بردى تصفَّق بالرحيق السلسل»: هذا تضمين لبيت حسان ابن

ثابت رضي الله عنه وهو ضمن قصيدته التي تسمى البتارة، التي مدح بها آل جفنة من الغساسنة، والتي مطلعها:

بين الجوابي فالبضيع فحوقل

اسألت رسم الدار أم لم تسأل

إلى أن يقول:

بردى يصفَّق بالرحيق السلسل

يسقون من ورد البريص عليهم

إنني أودعت ثراك أعزّ الناس عليّ: أبي وابني وجدّي أولادي؛ فاحفظي  
الودائع إلى يوم تُجزى الصنائع.

ويا جناتِ الغوطة، وقرها المغبوطة، لا زلت مجلى الفطر، والحد الفاصل  
بين البدو والحضر، أشهد ما عشوت من الغرب إلى نار<sup>(١)</sup>، ولا عشيت منه  
بنور.

تبارك من رَوَّك بسبعة أودية، وكساك من وشي آذار بخضر الأردية.  
كم فُتِّتُ بمناظرِك الشعرية، وأخذت بمجاليك السحرية، وكم تزوّدتُ  
عيناى فيك بروضة وغدير، وكم تمتعت أذناى من جداولك وأشجارك بحفيف  
وهدير».

إلى أن قال: «عهود لم يبق إلا ذكراها في النفس، وصدائها في الجوانح،  
والحنين إليها في مجامع الأهواء من الفؤاد.  
ولولا أن السلو كالزمن يتقادم، وأن الهوى مع العقل يتصادم، لقلت مع  
المتنبي: أبوكم آدم!...»<sup>(٢)</sup>

فلو تأملت الفِقرَ الماضية لرأيت أمثلةً على توظيف الثقافة للموضوع.

١ - هذا تضمين لقول الشاعر:

متى تآته تعشو إلى ضوء نوره      تجد خير نار عندها خير موقد

٢ - يشير إلى قول المتنبي في قصيدة شعب بَوَّانٍ:

يقول بشعب بَوَّانٍ حصاني      أعن هذا يُسار إلى الطعان  
أبوكم آدم سن المعاصي      وعلمكم مفارقة الجنان

## ١٨\_ العلم بموطن الشاهد، وإيراد النقول في مواطنها المناسبة

فيحسن بالكاتب إذا اختار موضوعاً في أي شأن من الشؤون \_ أن يجمع كل ما يخدم موضوعه ، ثم ينتقي من ذلك ما يناسب المقام ، ويلائم الأسلوب .  
كما عليه أن يعرف موطن الشاهد ، والمنزِع \_ فلا يورد كلاماً في غير موضعه ، ولا يستشهد بكلام في غير محله .

فإذا أخطأ السبيل في ذلك عرَّض نفسه للسخرية ، كحال من يستشهد بيت شعر وهو لا يعرف معناه ، فيضعه في مكان مغاير لما أراد .

وذلك كحال أحدهم لما كتب كلمة رثاء في أحد العلماء؛ حيث أفاض في مدحه ، والثناء عليه ، وأكثر من قول : « وكان ﷺ » حتى قال : وكان ﷺ :

يمارس نفساً بين جنبيه كزّة إذا همّ بالمعروف قالت له: مهلاً

فعرض على صاحب له مقالته ، فقال الصاحب : أتدري ما معنى البيت؟  
فقال الكاتب : نعم ، إنه بيت جميل ، يتضمّن مدحاً ، وثناءً يناسب مقام ذلك العالم الجليل .

فقال له صاحبه : إن معنى البيت يتضمّن هجاءً مرأً مقذعاً يكاد يكون من أعظم الهجاء؛ حيث وُصف المهجو بالبخل الشديد ، والكزازة ، ووُصِفَتْ نفسه بأنها لا تطاوعه على المكارم .

فقال الكاتب \_ وكان في نيته إرسال المقال إلى جريدة سيّارة \_ : خرّق ، خرّق!  
وكحال أحد الطلاب في الجامعة ، حيث أرسل رسالة إلى أستاذ يُجلّه ويحبه ، فأراد هذا الطالب أن يُعبّر عن هذه المشاعر المكنونة ، وأن يصف أستاذه بصفات تليق بمقامه العالي عنده ، فأرسل رسالة عبر الجوّال يقول فيها :

وصفّت التقى حتى كأنك ذو تقى وريح المعاصي من ثيابك تنضح

فلما قرأها الأستاذ قال: صحيح إن ذنوبي كثيرة، ولو فاحت رائحتها لما جالسني أحد.

ثم اتصل على هذا المرسل وهو لا يعرفه، فلما تكلم كأنه عرفه، فقال له: ما هذا البيت؟ فقال الطالب: والله يا شيخ إنني أحبك في الله، وبين يدي أحد مؤلفاتك، وقد أفدت منه فائدة كبيرة، وخطر في بالي ذلك البيت، فأرسلته لك معبراً عن إعجابي وحبِّي.

فقال له الأستاذ: أتدري معنى البيت؟

فقال الطالب: لا شك أنه معنى جميل.

فقال الأستاذ: إن معناه كذا وكذا، فتلعثم الطالب، وقال: والله إنني لا أعلم أن معناه هكذا، فلعلك لم تعرفني أيها الأستاذ. فقال الأستاذ: لا عليك؛ الأمر أهون من ذلك، ولكن عليك بالتثبت، ومعرفة ما تكتب.

وربما قال بعضهم لزوجته مثنياً عليها:

أثني عليّ بما علمتِ فإنني مثنٍ عليك بمثل ريح الجورب

وما علم أن ذلك منتهى الإقذاع والسب، والسخرية.

وكل ذلك ناتج عن سوء الفهم، ووضع الكلام في غير مواضعه.

وإن كلام المرء في غير كنهه لكانبيل تهوي ليس فيها نصالها

### ١٩\_ الاهتمام بحسن الافتتاح، وجودة المطلع، وبراعة الاستهلال

فذلك دليلٌ على جودة البيان، وسلامة الذوق، كما أنه سبيل بلوغ المعاني إلى الأذهان؛ فلذلك ينبغي أن يكون حسناً مقبولاً، دالاً على الغرض ولو من طرفٍ

خفي؛ فالفكرة الأولى عن شيء، أو أمر، أو شخص تثبت وتقر في النفس. ومحوها يحتاج إلى عناء؛ فإن كانت حسنة صعب تهجينها، وإن كانت سيئة عز تزيينها.

ولهذا عني علماء البلاغة في مبادئ الكلام، وعقدوا له الفصول في كتبهم، ونبهوا على ما ينبغي للكاتب، والشاعر في هذا الشأن **قال أبو هلال العسكري** ×: = إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً ورشيقاً كان داعية الاستماع لما يجيء بعده من الكلام.

ولهذا المعنى يقول الله - عز وجل -: ﴿الم﴾، ﴿حم﴾، ﴿طس﴾،

﴿كهيعص﴾

فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد؛ ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده، والله أعلم بكتابه.

ولهذا جعل أكثر الابتداءات بـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لأن النفوس تتشوق للثناء على الله؛ فهو داعية الاستماع». (١)

وقال رحمته الله: «قال بعض الكتاب: أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات؛ فإنهن

دلائل البيان.

وقالوا: ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله مما يُتطير منه، ويُستجفى من الكلام والمخاطبة، والبكاء، ووصف إقفار الديار، وتشتيت الألف، ونعي الشباب، وذم الزمان لا سيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني، ويستعمل ذلك في المراثي، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه، وإن كان يعلم أن الشاعر إنما

يخاطب نفسه دون الممدوح». (١)

ثم ضرب ﷺ أمثلة على ذلك ، منها قوله : « أنشد البحري أبا سعيد قصيدة أولها :

لك الويل من ليلٍ تطاولٍ آخره      ووشكٌ نوىٍ حيٍّ تزمُ أباعره  
فقال أبو سعيد: بل الويل والحرب لك ، فغيَّره ، وجعله : « له الويل » وهو رديءٌ - أيضاً .

وأنشد أبو مقاتلٍ الداعي :

لا تقل بشري ولكن بشريان      غرة الداعي ويومُ المهرجان  
فأوجعه الداعي ضرباً ، ثم قال : هلاً قلت :  
إن تقل بشري فعندي بشريان». (٢)

قال العباسي : « من الابتداءات القبيحة قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان :  
أتصحو أم فؤادك غير صاح .....

١ - كتاب الصناعتين ص ٤٣١ .

٢ - كتاب الصناعتين ص ٤٣٢ ، وذكر صاحب معاهد التنصيص عبد الرحيم العباسي ٤-٢٢٩ : « أن ابن مقاتل الضرير - أحد شعراء الجبال - أنشد للداعي إلى الحق العلوي الثائر بطبرستان قوله :

موعدُ أحبابك بالفرقة غدُ

فقال له الداعي : بل موعد أحبابك ، ولك المثل السوء .

الشاهد فيه : قبح الابتداء .

وروي - أيضاً - أنه دخل عليه في يوم مهرجان ، وأنشده :

لا تقل بشري ولكن بشريان      غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير منه الداعي ، وقال : أعمى بيتدئ بهذا يوم المهرجان ، ثم أمر ببطحه ، وضربه خمسين عصا ،

وقال : إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه .»



فإنه لما أنشده قال له عبد الملك : بل فؤادك يابن الفاعلة.

ومثله قول ذي الرمة لما دخل على عبد الملك ، وأنشده قصيدته التي أولها :

ما بال عَيْنِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسُكِبُ

وكانت عين عبد الملك تدمع دائماً ، فتوهم أنه خاطبه ، وعرض به ، فقال : ما

سؤالك عن هذا يا بن الفاعلة ، ومقتة ، وأمر بإخراجه»<sup>(١)</sup>.

وقال العباسي : «ومنه قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلبي مع المعتصم ؛ فإنه

دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ؛ فشرع في إنشاد قصيدة أولها :

يا دار غيِّرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم<sup>(٢)</sup> من قبح هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر على الفور ، وهذا

مع يقظة إسحاق وشهرته بحسن المحاضرة ، وطول خدمته للخلفاء.

ولكن قد يخبو الزناد ، ويكبو الجواد مع أنه قيل : أحسن ابتداء ابتدأ به مؤلِّد

قول إسحاق الموصلبي :

هل إلى أن تنام عيني سبيل إن عهدي بالنوم عهد طويل<sup>(٣)</sup>

وقد ذكر أبو هلال رحمه الله أمثلة لابتداءات جياد ، ومن ذلك قوله : «ومن أحكم

١ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ٤-٢٢٩-٢٣٠.

٢ - التطير مما جاء الإسلام بإبطاله ونفيه ، وتحريمه ، وبيان ضرره.

والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «لا عدوى ولا

طيرة ، وأحب الفأل الصالح» البخاري (٥٧٥٤) ومسلم (٢٢٢٣).

٣ - معاهد التنصيص ٤-٢٣٠-٢٣١

ابتداءات العرب قول السموأل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضَه فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل<sup>(١)</sup>

وقال بعضهم : أحكم ابتداءاتهم قول لبيد رضي الله عنه :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وبعضهم يجعل ابتداءات هذه القصيدة :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أَنحَبَ فَيُقْضَى أم ضلالٌ وباطل<sup>(٢)</sup>

## ٢٠\_ العناية بحسن الختام

فالخاتمة هي آخر ما يكتب ، ولها أثرها الباقي ؛ إذ هي آخر ما يعلق في النفس ، وأكثر ما يبقى في الذهن ، ويتصل بالقلب ؛ فإن كان وقعها حسناً انسحب ذلك عن جميع ما مضى ، وإلا ساء الأثر ، وضاعت الغاية المنشودة ؛ فيتعين على الكاتب أن يجتهد في حسن الختام ، وأن يجعله رشيقاً ، حلواً ، مشتملاً على جمال اللفظ ، وإصابة الغرض ، متضمناً إيجازاً لما مضى بأخصر عبارة ، وألطف إشارة.

## ٢١\_ اختيار الورق الجيد ، والقلم المناسب

وهذا مجرب فإذا كتبت بالقلم الذي تحبه ، وكانت الأوراق مسطرة مريحة

١\_ كتاب الصناعتين ص ٤٣٣ .

٢\_ كتاب الصناعتين ص ٤٣٤ .

للنفس كان ذلك دافعاً للاسترسال في الكتابة.

ولهذا قيل لورّاق: «ما السرور؟ قال: جلود وأوراق، وحبر برّاق، وقلم مَشّاق».

ولا يلزم ذلك بكل حال؛ فقد لا يتسنى في كل وقت.

### ٢٢\_ العلم بما يكتب

فلا يخوض الكاتب في موضوع إلا وقد أحاط به علماً، ودراسة؛ فلا يعني علمه بفن من الفنون أن يكون عالماً بكل فن؛ فقد يعلم شيئاً، وتغيب عنه أشياء؛ وقد يُفتح عليه في باب ولا يُفتح عليه في غيره وهكذا..

فإن أباي إلا الركض في كل ميدان، والتولج في كل مضيق سواء كان يحسن ذلك أو لا يحسن - فقد عرّض نفسه للدم، وجعلها غرضاً للّوم، ومن تكلم بما لا يحسن أتى بالعجائب.

يقول الشيخ العلامة محمود شاکر رحمته الله: «رُبَّ رجلٍ واسعِ العلم، بحرٍ لا يزاحم، وهو على ذلك قصير العقل مضللّ الغاية، وإنما يعرّض له ذلك من قبل جرأته على ما ليس له فيه خبرة، ثم تهوره من غير روية ولا تدبر، ثم إصراره إصرار الكبرياء التي تأبى أن تعقل.

وإنّ أحدنا ليُقدّم على ما يحسن، وعلى الذي يعلم أنه به مضطلع، ثم يرى بعد التدبر أنه أسقط من حسابه أشياء، كان العقل يوجب عليه فيها أن يتثبت، فإذا هو يعود إلى ما أقدم عليه؛ فينقضه نقض الغزل.

ومن آفة العلم في فن من فنونه، أن يحمل صاحبه على أن ينظر إلى رأيه نظرة

المعجب المنتزه، ثم لا يلبث أن يفسده طول التمادي في إعجابه بما يحسن من العلم، حتى يقذفه إلى اجتلاب الرؤى فيما لا يحسن، ثم لا تزال تغيره عادة الإعجاب بنفسه حتى ينزل ما لا يحسن منزلة ما يحسن، ثم يصير، ثم يغالي، ثم يعنف، ثم يستكبر، ثم إذا هو عند الناس قصير الرأي والعقل على فضله وعلمه»<sup>(١)</sup>.

### ٢٣- مراعاة أغراض الكتابة والتأليف

فيحسن بالكاتب ألا يكتب في موضوع ما إلا بعد النظر في الحاجة إليه، ومدى ملاءمته لأغراض الكتابة التي بينها العلماء، وجمعها الناظم بقوله:

ألا فاعلمن أن التأليف سبعة	لكل لبيب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ	وإبداع حبرٍ مُقدمٍ غير ناكص
وترتيبٌ منثورٍ وجمعٌ مُفرق	وتقصيرٌ تطويلٌ وتتميمٌ ناقص

### ٢٤- الحذر من الاستسلام للتشبيط

فكما أن الإنسان يُنصح بألا يستعجل، وبألا يعرض عقله على الناس إلا بعد التروي، واستكمال أدوات الكتابة - فكذلك يحسن به ألا يتشبط أو يتوانى إذا كان مهياًً للكتابة.

بل عليه أن يُقدم، وألا يحتقر نفسه.

وما زال العلماء والحكماء يُحدِّثون من مقولة: «ما ترك الأول للآخر شيئاً»

١- مجلة الرسالة عدد ٥٦٢ إبريل ١٩٤٤، وانظر جمهرة مقالات محمود شاكر ٢٥٨/١ إعداد د. عادل

ويوصون بالكلمة الأخرى وهي: «كم ترك الأول للآخر».

وإليك فقرأ من رسالة كتبها العلامة ابن فارس اللغوي رحمه الله لأبي عمرو ابن سعيد الكاتب، تدور حول هذا المعنى.

قال رحمه الله: «ألهمك الله الرشاد، وأصحبك السداد، وجنبك الخلاف، وحبب إليك الإنصاف».

وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة، وإعظامك ذلك.

ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده، ويَرِد المنهل الذي يؤمه، لاستدرك من جيد الشعر ونقيته، ومختاره ورضييه كثيراً مما فات المؤلف الأول؛ فماذا الإنكار؟ ولمه هذا الاعتراض؟ ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم؟ ولمه تأخذ بقول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وتدع قول الآخر:

كم ترك الأول للآخر؟

وهل الدنيا إلا أزمان، ولكل زمان رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام، ونتائج العقول؟!

ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها على وقت محدود؟ ولمه لا ينظر الآخر مثلما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل مثل رأيه.

وما تقول للفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نواذر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً، ولكل خاطر نتيجة،

ولِمَ جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره، ولم يَجْزُ أن يؤلف مثل تأليفه؟  
وله حجرت واسعة وحَظَرَتْ مباحاً، وحرمت حلالاً، وسددت طريقاً  
مسلوكاً؟

وهل حبيب<sup>(١)</sup> إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؟ ولمه جاز أن يعارض الفقهاء من مؤلفاتهم، وأهل النحو في مصنفاتهم، والنُّظَّار في موضوعاتهم، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شدَّ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يُدْرِك ولا يدرى قدره؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذهب أدب غزير، ولضلَّت أفهام ثاقبة ولكَلَّت ألسُنٌ لِسِنَّةً، ولما توشَّى أحد بالخطابة، ولا سلك شِعْباً من شعاب البلاغة، وكَمَجَّتِ الأسماع كل مردود مكرر، ولَلْفَطَتِ القلوب كل مُرْجَعٍ مُمَضَّغٍ، وحتَّام لا يُسَامُ:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي<sup>(٢)</sup>

وإلى متى: صَفَحْنَا عن بني ذهل<sup>(٣)</sup>

ولِمَ أنكرت على العَجَلِيِّ معروفاً؟ واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيحاً، وإيطاءً وإقواءاً، ونقلًا لأبيات عن أبوابها إلى أبوابٍ لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات

١ - يعني به: أبا تمام: حبيب بن أوس الطائي.

٢ - يشير إلى قول القائل: لو كنت .... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

٣ - يشير إلى قول الفند الزماني:

مدخولة ، وأمور علية؟ وله رضيت لنا بغير الرضى؟ وهلا حثت على إثارة ما غيبتهُ الدهور، وتجديد ما أخلقتهُ الأيام، وتدوين ما نتجتُهُ خواطرُ هذا الدهر، وأفكار هذا العصر، على أن ذلك لو رامه رائمٌ لأتعبه، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة مَنْ قَبَلَهُ: مِنْ جَدِّ يَرُوعُكَ، وهزل يروقك، واستنباط يعجبك، ومزاح يلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي حامد الضرير القزويني، حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أْكُولٌ، فأحس أبو حامد بجودة أكله فقال:

وصاحب لي بطنه كالهوية      كأن في أمعائه معاويه<sup>(١)</sup>

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب معاوية، وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عَجْرَدٌ وأبو الشمقمق؟ وهل في إثبات ذلك عار على مشته، وفي تدوينه وصمة على مدونه؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق، وقميص شديد البياض، وخف أحمر، وهو مع ذلك كله قصير على بردون أبلق هزيل الخلق، طويل الحلق، فقال حين نظر إليه:

وحاكم جاء على أبلق      كعقعق جاء على لقلق

فلو شهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه، وجودة التمثيل، ولعلمت أنه لم يقصُرُ عن قول بشار:

١\_ المعاوية: الكلبة التي تعاوي الكلاب وتناجها، وبها سمي الرجل، وربما أراد بذلك الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقد كان رجلاً أكولاً وقد قال فيه النبي ﷺ « لا أشبع الله بطنك ».

كَأَنَّ مُنَّارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوِي كَوَاكِبِهِ

فما تقول لهذا، وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه، وجحود تجويده؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل، لرجل بشيراز يعرف بالهمداني وهو اليوم حي يرزق، وقد عاتب<sup>(١)</sup> بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه :

وَقِيَّتَ الرَّدَى وَصُرُوفَ الْعَلَلِ وَلَا عَرَفَتْ قَدَمَاكَ الْعَلَلِ  
شَكَا الْمَرَضَ الْمَجْدَ لَمَّا مَرَضُ لَكَ الذَّنْبَ لَا عَتَبَ إِلَّا عَلَيْكَ  
فَرَأَيْتَ صِفَةَ وَافَقْتَ الْمُصَوِّفَ : وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي شَاعِرٍ هُوَ الْيَوْمَ هُنَاكَ يَعْرِفُ بَابْنَ عَمْرُو الْأَسْدِي، وَقَدْ رَأَيْتَهُ

وَأَصْفَرَ اللَّوْنَ أَزْرَقَ الْحَدَقَةَ فِي كُلِّ مَا يَدْعِيهِ غَيْرَ ثَقَه  
كَأَنَّهُ مَالِكُ الْحَزِينِ إِذَا هَمَّ بِزَرْقٍ وَقَدْ لَوَى عُنُقَهُ  
إِنْ قَمَتَ فِي هَجْوِهِ بِقَافِيَةٍ فَكُلُّ شَعْرٍ أَقْوَلُهُ صَدَقَهُ  
وَأَنْشَدَنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ شَاذَانَ الْقَارِي، لِيُوسُفَ بْنِ حَمُوبِهِ مِنْ أَهْلِ قَزْوِينَ؛  
وَيَعْرِفُ بَابْنَ الْمَنَادِي :

إِذَا مَا جِئْتَ أَحْمَدَ مُسْتَمِيحاً فَلَا يَغْرُرُكَ مَنْظَرُهُ الْأَنِيقُ  
لَهُ لَطْفٌ وَلَيْسَ لَدَيْهِ عَرَفٌ كِبَارِقَةَ تَرْوِقُ وَلَا تُرِيْقُ  
فَمَا يَخْشَى الْعَدُوَّ لَهُ وَعَيْدًا كَمَا بِالْوَعْدِ لَا يَثِقُ الصَّدِيقُ  
وَمَدَحَ رَجُلٌ بَعْضَ أَمْرَاءِ الْبَصْرَةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ رَأَى تَوَانِيأً فِي أَمْرِهِ  
قَصِيدَةً يَقُولُ فِيهَا كَأَنَّهُ يَجِيبُ سَائِلًا :

١- في الأصل: «عاب».



جـودت شعرك في الأمية — ر فكيذا أمرُك قلتُ فاترُ

فيكفَ تقول لهذا؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه عن

الإيجاز؟ والدلالة على المراد بأقصر لفظٍ وأوجز كلام، وأنت الذي أنشدتني :

سَدَّ الطَّرِيقَ عَلَى الزَّمَا نِ وَقَامَ فِي وَجْهِهِ الْقَطُوبُ

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل :

فَدَيْتِكَ مَا شَبَّتَ عَنْ كُبْرَةٍ وَهَدَيْ سِنِّيَّ وَهَذَا الْحَسَابُ

وَلَكِنْ هُجِرْتَ فَحَلَّ الْمَشِيبُ وَلَوْ قَدْ وُصِلَتْ لِعَادِ الشَّبَابُ

فَلِمَ لَمْ تَخَاصِمِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فِي مَزَاحِمَتَهُمَا فَحَوْلَةَ الشُّعْرَاءِ وَشَيَاطِينِ

الْإِنْسِ، وَمَرَدَّةِ الْعَالَمِ فِي الشُّعْرِ؟

وأنشدني أبو عبدالله المغلسي المراغي لنفسه :

غَدَاةٌ تَوَلَّتْ عَيْسُهُمْ فَتَرَحَّلُوا بَكَيْتَ عَلَى تَرَحُّالِهِمْ فَعَمِيَتْ

فَلَا مَقْلَتِي أَدَّتْ حَقُوقَ وِدَادِهِمْ وَلَا أَنَا عَنْ عَيْنِي بِذَلِكَ رَضِيَتْ

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: كان عندنا طيب يُسَمَّى النعمان،

ويكنى أبا المنذر، فقال فيه صديقٌ لي :

أَقُولُ لِنَعْمَانَ وَقَدْ سَاقَ طَبُّهُ نَفُوساً نَفِيسَاتٍ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ

أَبَا مَنْذَرَ أَفْنِيَتْ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَنَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهُونَ مِنْ بَعْضِ<sup>(١)</sup>

إِلَى آخِرِ مَا قَالَهُ فِي رِسَالَتِهِ الْمَاتِعَةِ<sup>(٢)</sup>.

١ - البيت لطرفة في ديوانه ٤٨.

٢ - انظر يتيمة الدهر للثعالبي ٢/٢١٤-٤١٨، مقدمة المقاييس ١ / ١٥ - ٢٠.

## ٢٥- مراعاة أدب النفس

وذلك بالتحلي بكل خلق جميل، والتخلي عن كل خلق رذيل.

**قال ابن قتيبة رحمته الله** : « ونحن نستحب لمن قبل منا ، وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دنايا الغيبة ، وصناعته من شين الكذب ، ويجانب \_ قبل مجانبته اللحن ، وخطل القول \_ شنيع الكلام ، ورفث المزاح .<sup>(١)</sup> »

وقال رحمته الله \_ بعد أن ساق جملة من آداب الكاتب ، وما ينبغي أن يتحلى به ، ويستكمله من أدوات \_ : « فمن تكاملت فيه هذه الأدوات ، وأمدته الله بأدب النفس من العفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع ، وسكون الطائر ، وخفض الجناح \_ فذلك المتناهي في الفضل ، العالي في ذرا المجد ، الحاوي قصب السبق ، الفائز بخيري الدارين \_ إن شاء الله تعالى \_ .<sup>(٢)</sup> »

فإذا اتصف الكاتب بأدب النفس حمله ذلك على سمو العبارة ، وطهارة المنطق ، وقاده إلى الإنصاف والعدل ، وتحري الحقيقة والأمانة في النقل ، إلى غير ذلك مما يكسبه شكوراً ، وتزداد به صحيفة أعماله نوراً .

## ٢٦- تخمير الكتابة

وذلك بالألا يستعجل بإخراج ما يكتب؛ إذ يحسن به أن يكتب ، ويدع ما كتب مدة ، ثم يرجع إليه ، ويعيد النظر فيه مرة بعد مرة ، ويتعاهده بالتشذيب ،

١ \_ أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٤ .

٢ \_ أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٠ .

والتهديب، والإصلاح، وقد قيل: «خمير الرأي خير من فطيره»<sup>(١)</sup>.  
قال بعض رؤساء الكتاب: «ليس أحد أولى بالأناة والروية من كاتب يعرض عقله، وينشر بلاغته؛ فينبغي له أن يعمل النسخ، ويقبل عفو القريحة، ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس أعداءً له، عارفون بكتابه، منتقدون عليه، متفرغون إليه»<sup>(٢)</sup>.  
وقال آخر: «إن لابتداء الكلام فتنةً تروق، وجدةٌ تُعجب؛ فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس - فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه مساوياً لغمه بإساءته»<sup>(٣)</sup>.  
وقالوا: «الكتاب يُتصفح أكثر مما يُتصفح الخطاب؛ لأن الكاتب متخير، والمخاطب مضطر.

ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أسرع فيه أم أبطأت.  
وإنما ينظر أخطأت أم أصبت؛ فإبطاؤك غير قادح بإصابتك، كما أن إسراعك غير مُغطٌّ على غلطتك»<sup>(٤)</sup>.  
وقيل لبشار بن برد: «بِمَ فُتتَ أهلَ عمرك، وسبقتَ أهلَ عصرِكَ في حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه؟  
فقال: لأنني لم أقبل كل ما تورد على قريحتي، ويناجينني وبيعهه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات؛ فسرت إليها

١ - صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٦٠٥.

٢ - ٣ - زهر الآداب للحصري القيرواني ١٥٤ - ١٥٥.

٤ - زهر الآداب للحصري القيرواني ١٥٤ - ١٥٥.

بفهم جيد، وغريزة قوية؛ فأحكمت سببها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحتزرت من متكلفها، ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتي به»<sup>(١)</sup>.

«وكان قلمُ ابن المقفع يقف كثيراً؛ فقليل له في ذلك، فقال: إن الكلام يزدحم في صدري، فيقف قلبي؛ ليتخير»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو هلال العسكري رحمته الله: «فإن ابتليت بتكلف القول، وتعاطي الصناعة، ولم تسمح لك الطبيعة في أول وهلة، وتعصى عليك بعد إجماله الفكرة - فلا تعجل، ودعه سحابة يومك ولا تضجر، وأمهله سواد ليلتك، وعواده عند نشاطك؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة، وجريت من الصناعة على عرق»<sup>(٣)</sup>.

وقال مبيناً فضل التنقيح، والمراجعة، وإعادة النظر: «وقد كان هذا دأب جماعة من حذاق الشعراء من المحدثين والقدماء، منهم زهير، كان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويهدبها في ستة أشهر، ثم يُظهرها؛ فتسمى قصائده الحوليات لذلك.

وقال بعضهم: خير الشعر الحولي المنقح؛ وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر، وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يُبرزها.

وكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة، ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها

١- زهر الآداب ص ١٥١.

٢- زهر الآداب ص ١٥٤.

٣- كتاب الصناعتين ص ١٣٥.

ويقتصر على العيون منها؛ فلهذا قصر أكثر قصائده.

وكان البحري يُلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً.

وكان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل، وكان يرضى بأول خاطر فنعى عليه عيب كثير.

وتخيّر الألفاظ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التثام الكلام؛ وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته»<sup>(١)</sup>.

### ٢٧\_ التثبت في النقل، والتروي في إبداء الرأي

وهذا قريب مما مضى؛ فلا ينبغي للكاتب أن يكون حاطب ليل يكتب كل ما خطر بباله، ويتسرع في إبداء رأيه، وإصدار أحكامه.

بل يجب عليه أن يتثبت في نقله، ويحسن به أن يتأنى في إبداء آرائه، فالعاقل اللبيب لا يتكلم في شيء إلا إذا تثبت من صحته؛ فإذا ثبت لديه ذلك نظر في جدوى نشره؛ فإن كان في نشره حفز للخير، واجتماع عليه نشره، وأظهره، وإن كان خلاف ذلك أعرض عنه، وطواه.

ولقد جاء النهي الصريح عن أن يُحدّث المرء بكل ما سمع، قال عليه السلام: «كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع»<sup>(٢)</sup>.

وقد عقد الإمام مسلم رحمته الله في مقدمة صحيحه باباً سماه «باب النهي عن

١\_ كتاب الصناعتين ص ١٤١.

٢\_ مسلم (٥) في مقدمة صحيحه.

الحديث بكل ما سمع» وساق تحته جملة من الآثار منها الحديث السابق ، ومنها ما رواه بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «بحسب المرء من الكذب أن يُحدِّث بكل ما سمع»<sup>(١)</sup>.

وقال مسلم رحمته الله : حدثنا محمد بن المثنى قال : سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول : «لا يكون الرجل إماماً يُقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع»<sup>(٢)</sup>.

ويتعين هذا الأدب في وقت الفتن والملمات ، فيجب على المسلم أن يتحرى هذا الأدب ؛ حتى يقرب من السلامة ، وينأى عن العطب.

قال الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَكَوَرِدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ٨٣).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمته الله في تفسير هذه الآية : « هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق ، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة ، والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن ، وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم - أن يتثبتوا ، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر ، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم : أهل الرأي ، والعلم ، والنصح ، والعقل ، والرزانة ، الذين يعرفون الأمور ، ويعرفون المصالح وضدها . فإذا رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين ، وسروراً لهم ، وتحرزاً من

١- مسلم (٥) في مقدمة صحيحه.

٢- مسلم (٥) في مقدمة صحيحه.

أعدائهم \_ فعلوا ذلك ، وإن رأوا ما ليس فيه مصلحة ، أو فيه مصلحة ، ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه ، ولهذا قال \_ سبحانه \_ : ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة ، وعلومهم الرشيدة .

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية ، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ، ويجعل إلى أهله ، ولا يُتقدم بين أيديهم ؛ فإنه أقرب إلى الصواب ، وأحرى للسلامة من الخطأ .

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها ، والأمر بالتأمل قبل الكلام ، والنظر فيه هل هو مصلحة ؛ فيقدم عليه الإنسان ، أم لا ؛ فيحجم عنه ؟<sup>(١)</sup> .

ثم إن اللائق بالكاتب العاقل أن ينظر في العواقب ، وأن يراعي المصالح ؛ فلا يحسن به أن يبدي رأيه في كل صغيرة وكبيرة ، ولا يلزمه أن يتكلم بكل نازلة ؛ لأنه ربما لم يتصور الأمر كما ينبغي ، وربما أخطأ التقدير ، وجانب الصواب ، بل ليس من الحكمة أن يبدي الإنسان رأيه في كل ما يعلم حتى ولو كان متأنياً في حكمه ، مصيباً في رأيه ؛ فما كل رأي يُجهر به ، ولا كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يصلح للقول يصلح أن يقال عند كل أحد ، أو في كل مكان أو مناسبة .  
وإذا أراد أن يبدي ما عنده فليكن بتعقل ، وروية ، وورصانة ، وركانة ، وزكاة .

١- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي ص ١٥٤ .

## ٢٨\_ الحذر من إملاءات الأحوال الخاصة، والظروف العامة

فالكاتب العاقل الحصيف المخلص يدرك شأن الكتابة، ويستحضر خطرها، ويستشعر عظيم أثرها؛ فتراه\_ وقت كتابته\_ لا يستسلم لأحواله الخاصة من فرط غضب أو رضاً، أو استحسان أو استهجان، أو رغبة أو رهبة، أو ما جرى مجرى ذلك؛ لأنه إذا استسلم لذلك، فكتب حسب ما تمليه عليه حاله الحاضرة، ثم هدأت نفسه، وسكنت ريجه، واستقرت حالته \_ ندم ندامة الكُسعي بعد أن سارت كتابته مسير الشمس.

ولا يستسلم الكاتب العاقل \_ كذلك \_ لما يحيط به؛ فيكتب ما تمليه عليه الظروف لا الحقائق، فيلبس الحق بالباطل، ويصور المعروف بصورة المنكر، ويجحد لأحد فضلاً وهو يراه رأي العين، أو يشهد لأحد باستقامة السيرة وهو يراه منحرفاً عن سواء السبيل.

بل تراه لا يكتب إلا وفق ما يمليه عليه دينه، وإخلاصه، وأمانته، ونزاهته، مستشعراً وقوفه بين يدي ربه، مستحضراً شهادة التاريخ عليه؛ فذلك من أعظم ما يردع قلم الكاتب عن أن يقلب الحقائق، أو يكسوها لوناً غير لونها؛ إرضاءً لشخص أو طائفة؛ فلا يُخشى منه أن يناوىء الحق، أو يلبسه شيئاً من الباطل ولو أمطر عليه أشياع الباطل فضة أو ذهباً.

قال العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مشيراً إلى شيء مما مضى :

«ولأن يسكت العاقل مختاراً في وقت يحسن السكوت فيه خيرٌ من أن ينطق



مختاراً في وقت لا يحسن الكلام فيه»<sup>(١)</sup>.

وقال: «وكلُّ نَطْقَةٍ تملّوها الظروف لا الضمائر تثمر سكتة عن الحق ما من ذلك من بد»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «أما وظيفة السيف والرمح فهي الإنكاء في العدو، الإنكاء في العدو هو الغاية التي تنتهي إليها شجاعة الشجاع.

كذلك حملة الألسنة والأقلام يجب أن يكونوا؛ ليحققوا التشبيه الذي توأطت عليه الأمم؛ فلتأتهم المصائب من كل صوب، ولتنزل عليهم الضرورات من كل سماء، وليخرجوا من كل شيء إلا شيئين: القلم، واللسان؛ إن بيع القلم، واللسان أقبح من بيع الجندي لسلاحه»<sup>(٣)</sup>.

### ٢٩- العناية بوضع التاريخ

والمقصود بذلك تاريخ الكتابة؛ فيحسن بالكاتب إذا انتهى من تحرير ما يريد أن يضع في خاتمه تاريخ اليوم الذي فرغ فيه من الكتابة؛ فلكتابه التاريخ فوائده كثيرة، منها معرفة السابق من اللاحق من الكُتّاب، ومعرفة الناقل من المنقول منه. ومن فوائده ذلك معرفة الأطوار التي يمر بها الكاتب إذا أراد أحدٌ دراسته، وإلقاء الضوء على مؤلفاته، ومعرفة آخر أقواله، وما استقر عليه رأيه. قال بعض الكُتّاب: «التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تعرف الحقوق،

١- عيون البصائر ص ١٧.

٢- عيون البصائر ص ١٨.

٣- عيون البصائر ص ١٨.

وتحفظ العهد»<sup>(١)</sup>.

وقيل: «الكتابُ بغير تاريخ نكرة بلا معرفة، وغُفْلٌ بلا سمة»<sup>(٢)</sup>.  
ولأهمية التاريخ كانت الأمم توليه عناية فائقة؛ وكان لكل أمة تاريخٌ يخصها،  
ويميزها عن غيرها.

قال أبو بكر الصولي رحمته الله: «ولكل نبوة ومملكة تاريخ؛ فأما العرب فكانوا  
يؤرخون بالنجوم قديماً؛ وهو أصل، ومنه صار الكتابُ يقولون: نجمت على  
فلان كذا؛ حتى يؤديه في نجوم.  
وأنجمت جمع نجوم، والعرب تخص بالنجم الثريا، يقولون: إذا طلع النجم  
يريدون الثريا ومنه قولهم:

طلع النجم غديّه فابتغى الراعي كسيه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها كما يقال: أهلك  
الناس الدينار والدرهم يراد الجنس.

وعلى هذا قرأ أبو عمر بن العلاء: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾.  
والنجم ما نجم من النبات، ومن الرأي ما ظهر وهو غير هذا.  
وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف؛ فأرخوا بعام  
الفيل، وفيه ولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى  
أنوشروان.

١ - أدب الكتاب ص ١٨٤.

٢ - أدب الكتاب ص ١٨٤.

وأرخت العرب بعام الخُنان؛ لأنهم تماوتوا فيه، وعظم عندهم أمره؛ فقال  
النابغة الجعدي:

فمن يك سائلاً عني فإني      من الشبان أيام الخُنان<sup>(١)</sup>  
مضت مائة لعامٍ ولدت فيه      وعشر بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي؛ لجلالته فيهم، ولذلك قال  
شاعرهم:

وأصبح بطن مكة مقشعراً      كأن الأرض ليس بها هشام

وروي عن الزهري والشعبي أن بني إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم - عليه  
السلام - إلى بنائه البيت حين بناه مع إسماعيل، وأن بني إسماعيل أرخوا من بنان  
البيت إلى تفرق معد، ثم كانوا يؤرّخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي، ثم  
أرخوا بعام الفيل إلى أن أرّخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.  
وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه: «أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب  
ليس لها تاريخ، فلا ندري على أيها نعمل».

١ - قوله أيام الخُنان: قال السيد المرتضي أيامٌ كانت العرب قد هاج بها فيهم مرض في أنوفهم  
وحلوقهم. انتهى.

قال محقق الكتاب العلامة محمد بهجة الأثري: «المعروف أن الخُنان على وزن غراب زكام يأخذ الإبل  
في مناخرها وتموت منه».

وقال الأصمعي: كان الخُنان داء يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه.

وكان في عهد المنذر بن ماء السماء، وكانوا يؤرّخون بها، كذا في كتب اللغة، ورواية التاج في البيت:

فمن يحرص على كبري فإني      من الشبان أيام الخُنان

وروي أيضاً أنه قرأ صكاً محله شعبان، فقال: «أي الشعابين الماضي أم الآتي».

فكان سبب التأريخ من الهجرة، بعد أن قالوا: نؤرخ بعام الفيل، وقالوا: من المبعث، ثم أجمع الرأي على الهجرة.

وقالوا: ما يكون أول التاريخ؟

فقال بعضهم: شهر رمضان، وقال بعضهم: رجب؛ فإنه شهر حرام، والعرب تعظمه، ثم اجمعوا على المحرم، فقالوا: شهر حرام، وهو مُتَصَرَّفُ الناس من الحج.

وكان آخر الأشهر الحرم؛ فصيره أولاً؛ لأنها عندهم ثلاثة سرد ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، والفرد رجب؛ فكانت الأربعة تقع في سنتين؛ فلما صار المحرم أولاً وقعت في سنة<sup>(١)</sup>.

ومما يحسن التنبيه عليه أن يحرص الكاتب المسلم على التأريخ الهجري، وألا يعدل عنه إلى غيره؛ لأنه تأريخ أهل الإسلام، ومما يتميزون به عن غيرهم من الأمم.

### ٣٠- عرض الكتابة على الآخرين

لأخذ رأيهم، والاستماع إلى ملحوظاتهم؛ فذلك أدعى لإحكام الكتابة، والاطمئنان إليها خصوصاً إذا عُرِضَتْ على ذوي علم، ونظر، وبصيرة، وخبرة بالأساليب الراقية.

١- أدب الكتاب ص ١٧٨-١٨٠.

## ٣١\_ معرفة قدر النفس، وانسراح الصدر للنقد

فإذا وفق الله الكاتب لإظهار ما عنده \_ فليوطن نفسه على ما يُقال فيه.

**قال الجاحظ:** «من صنف فقد استهدف<sup>(١)</sup>، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

فليعرف الكاتب \_ إذا \_ قدر نفسه، ولا يطش به مدح المادحين في زهو، ولا ينزل به قدح القادحين في حسرة.

ثم لينشرح صدره للنقد الهادف، بل عليه ألا ينزعج من النقد الظالم؛ لأن ذلك دليل على علو كعبه، وتأثير كلامه.

ولا يعني ذلك أن يكتب ما هب ودب، ثم إذا كثر انتقاده ظن ذلك دليلاً على مكانته، وإنما المقصود أن يمر بالخطوات الماضية، وأن يشهد له أهل الفضل والعلم بالتقدم، فإذا قيل فيه \_ بعد ذلك ما قيل \_ فليأخذ بما مضى.

وبعدُ فهذه أصول عامة مهمة لصناعة الكتابة، وأسباب الترقى بها، وجعلها نافعة خالدة \_ بإذن الله \_.

١ \_ استهدف: صير نفسه هدفاً لسهام النقد.

٢ \_ استقذف: عرض نفسه للقفز.

٣ \_ زهر الآداب ص ١٨٣.

## الفهرس

- ٣ - المقدمة
- ٧ - ما جاء في وصف القلم وتعظيم شأن الكتابة
- ١١ - أسباب الارتقاء في الكتابة:
- ١٣ ١- حفظ القرآن الكريم، والإكثار من تلاوته وتدبره:
- ١٣ - أثر ذلك على الارتقاء بالكتابة، وكلمة لابن الأثير حول ذلك
- ١٤ ٢- الإكثار من مطالعة كتب السنة
- ١٥ ٣- مطالعة دواوين العرب في الشعر، وحفظ ما تيسر منها:
- ١٥ - ذكر لبعض الشعراء، وبعض الكتب في ذلك
- ١٥ ٤- العلم بالنحو والصرف:
- ١٥ - معنى النحو والصرف
- ١٦ - نبذة عن معنى الإعراب وبيان أهميته:
- ١٦ أولاً: معنى الإعراب:
- ١٦ أ- الإعراب في اللغة
- ١٦ ب- الإعراب في الاصطلاح
- ١٧ ج- معنى البناء
- ١٧ ثانياً: أهمية الإعراب وأقوال العلماء فيه:
- ١٧ - كلمات لابن قتيبة، والزجاجي، وابن فارس، وابن جنبي

- ٢١ \_ أمثلة لكتب النحو
- ٢٢ \_ العلم بفضه اللغة:
- ٢٢ \_ فضله ومفهومه
- ٢٣ \_ أهم المؤلفات في علم فقه اللغة:
- ٢٣ أولهما: كتاب (العين) للخليل بن أحمد
- ٢٣ الآخر: (كتاب سيويه)
- ٢٤ \_ ثناء ابن جنبي على سيويه
- ٢٤ \_ أبيات للزمخشري في الثناء على سيويه
- ٢٤ \_ البداية الحقيقية لفقه اللغة وظهوره كعلم مستقل على يد عالمين:
- ٢٥ الأول: أبو الحسين أحمد بن فارس:
- ٢٥ \_ نبذة عن كتاب الصاحبي
- ٢٦ الثاني: أبو الفتح عثمان بن جنبي
- ٢٧ \_ تعريف ب: كتاب (الخصائص)
- ٢٨ \_ تعريف ب: كتاب (سر صناعة الإعراب)
- ٢٩ \_ كتب أخرى في فقه اللغة:
- ٢٩ أ\_ فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي
- ٢٩ ب\_ المخصص لابن سيده
- ج\_ المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور
- ٢٩ الجواليقي

- ٣٠ د- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي
- ٣٠ - أمثلة لكتب في اللغة وعلومها في العصر الحاضر
- ٣١ ٦- معرفة البلاغة، والوقوف على أسرار البيان العربي:
- ٣٢ - كلام لأبي هلال العسكري في فضل علم البلاغة ، وأهميته
- ٣٤ - نبذة عن بدايات علم البلاغة ، وارتقائه ، وأهم الكتب والمؤلفين فيه
- ٣٧ ٧- معرفة الإملاء، ومراعاة علامات الترقيم:
- ٣٧ - من أحسن ما كتب في الإملاء ، وعلامات الترقيم
- ٨- الاطلاع على الكتب التي تعنى بصناعة الكتابة: ذكر بعض
- ٣٨ الكتب المؤلفة فيه
- ٣٩ ٩- الوقوف على أمثال العرب:
- ٣٩ - مفهوم الأمثال وأهميتها
- ٣٩ - كلمة لعبدالرحمن بن هذيل فيما يكمل به أدب المرء
- ٣٩ - نموذج نثري من كلام الشوكاني يتبين فيه كيف وظف الأمثال لخدمة غرضه
- ٤١ - من الكتب المصنفة في الأمثال
- ٤١ ١٠- معرفة أيام العرب والوقائع
- ٤١ - بعض الأمثلة على الأيام المشهورة عند العرب
- ٤٢ ١١- الحرص على الأخذ من كل فن بطرف:
- ٤٢ - كلمة لابن الأثير في ذلك
- ٤٣ - كلام لابن عاشور حول العلوم في بعض مراحل التاريخ



- ٤٣ ١٢- الاطلاع على كتابات أرباب البيان:
- ٤٣ - أمثلة لذلك من الكُتُب والكتب
- ٤٥ - كلمة لابن الأثير في فائدة الاطلاع على كلام المتقدمين في المنظوم والمنثور
- ٤٦ ١٣- سلامة الذوق، ومراعاة مقتضيات الأحوال:
- ٤٦ - تفصيل في بيان ذلك
- ٤٧ - كلمة لأبي هلال العسكري حول ذلك
- ٤٧ ١٤- نبل الهدف، وسلامة القصد
- ٤٨ ١٥- مراعاة حال الخصوم وأتباعهم
- ٤٨ ١٦- لزوم الاعتدال:
- ٤٩ - أمثلة لذلك
- ٤٩ - كلام لأبي هلال العسكري حول ما يحسن به الكلام
- ٥١ ١٧- توظيف الثقافة والمعارف لخدمة الموضوع
- ٥١ - أهمية ذلك للكاتب
- ٥١ - أمثلة ثرية لبعض الكتاب المعاصرين حول هذا المعنى
- ٦٣ ١٨- العلم بموطن الشاهد، وإيراد النقول في مواطنها المناسبة:
- ٦٣ - أمثلة لبعض الأخطاء في ذلك
- ٦٤ ١٩- الاهتمام بحسن الافتتاح، وجودة المطلع:
- ٦٤ - أهمية ذلك
- ٦٥ - كلام لأبي هلال العسكري في ذلك

- ٦٨ ٢٠\_ العناية بحسن الختام
- ٦٨ ٢١\_ اختيار الورق الجيد، والقلم المناسب
- ٦٩ ٢٢\_ العلم بما يكتب:
- ٦٩ \_ كلمة للشيخ محمود شاعر في ذلك
- ٧٠ ٢٣\_ مراعاة أغراض الكتابة والتأليف
- ٧٠ ٢٤\_ الحذر من الاستسلام للتشبيط:
- ٧١ \_ رسالة من ابن فارس لأبي عمرو بن سعيد الكاتب، تدور حول هذا المعنى
- ٧٦ ٢٥\_ مراعاة أدب النفس:
- ٧٦ \_ كلام لابن قتيبة حول هذا المعنى
- ٧٦ ٢٦\_ تخمير الكتابة:
- ٧٧ \_ كلمات لبعض الكتاب حول هذا المعنى
- ٧٩ ٢٧\_ التثبيت في النقل، والتروى في إبداء الرأي:
- ٧٩ \_ نصوص وأقوال في ذلك
- ٨٢ ٢٨\_ الحذر من إملاءات الأحوال الخاصة، والظروف العامة:
- ٨٢ \_ كلمات للبشير الإبراهيمي في هذا الشأن
- ٨٣ ٢٩\_ العناية بوضع التاريخ
- ٨٦ ٣٠\_ عرض الكتابة على الآخرين
- ٨٧ ٣١\_ معرفة قدر النفس، وانشراح الصدر للنقد:
- ٨٧ \_ كلمة للجاحظ حول هذا المعنى
- ٨٨ الفهرس